حلب تحترق .. بين الظلم الدولي والتآمر الإيراني !!

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٣٦ السنة الخامسة والأربعون - شعبان ١٤٣٧ هـ ●
الثمن جنيهان

داخل العدد:
مسابقتان في القرآن وعلومه

أمة الإسلام بين ذهاب الصالحين وابتداع الغالين

التعصب وأثره السيئ في ماضي الأمة وحاضرها

◆ ◆ ◆

شهر شعبان وما أحدث الناس فيه

السنة النبوية
القرآن الكريم

حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

لك الله يا حَلَبُ!

لعل ما يراه الناس في واقع الأمة من كثرة القتل وانتشاره يثبت ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله: «يتقارب الزمان (أي في آخره)، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج». قيل: وما الهَرْج؟ قال: «القتلُ» (البخاري: ٩٨٩).

وما تتعرضُ له بلاد المسلمين عمومًا، وسوريا خصوصًا يُشعر بذلك. ونرجو الله تعالى ألا يكون ذلك غضبًا منه علينا، فإن لم يكن به غضب علينا فلا نبالي، وإن كان غضبًا وعقابًا؛ فليكن في ذلك عبرة لمن لا يزال في عافية.

وهل علمت الأمة أن الرقص والغناء، واللهو واللعب والاستهانة بشريعة الله والجرأة على حدوده ومعاصيه لا يورث إلا الذل والانكسار، أم أن القوم لا يزالون لا يبصرون؟!

أما وقد قُدِّرَ علينا ذلك؛ فلا يَرد القدرَ إلاَّ الدعاءُ.

فمن لم يستطع نصر أخيه بماله ونفسه، فلا يتقاعس عن التضرع والدعاء لرفع البأس والبلاء. قال الله تعالى: «فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ» (الأنعام/٤٣).

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٤ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٤ سنة كاملة

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: د. خالد الغامدي ٢٣
التعصب وأثره السيئ: د. عماد عيسى ٢٧
حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة:
د. عبد الله شاكر ٣١
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
التفاؤل حياة القلب: أحمد صلاح ٤٢
الإحسان إلى اليتيم: صلاح عبد الخالق ٤٥
باب السيرة: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
العقيقة.. آداب وأحكام: محمد عبد العزيز ٦١
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٥
العقيدة أولاً: سعد بن عبد الرحمن ندا ٦٧
مسابقة الشيخ زكريا حسيني ٦٩
من أصول أهل السنة: عماد الدين محمد حمودة ٧٠

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

٨٨٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جماعة أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

شهر شعبان وما أحدث الناس فيه

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، والصلاة والسلام على المبعوث من الله رحمة، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.. وبعدُ:

فشهر شعبان من الأشهر التي ورد في فضلها بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام يُكثر من الصيام فيه، وقد بَيَّن صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك، كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: "ذلك شهر يَغفلُ الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفَع عملي وأنا صائم". (رواه أحمد في مسنده ٥/٢٠١، والنسائي في سننه ٤/١٧١، وحسنه الألباني في الصحيحة ٤/٥٢٢).

وهو يدل على استحباب الصيام في شهر شعبان، وقد عقد البخاري في كتاب الصوم من صحيحه بابًا قال فيه: «باب صوم شعبان». قال ابن حجر في شرحه: أي استحبابه، ثم ساق البخاري حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان». (البخاري مع الفتح ٤/٢١٣).

وقد رجَّح ابن حجر أن العلة في كثرة صيام شهر شعبان ما ذكره أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه السابق. (المرجع السابق ٤/٢١٥).

وقد أحدث بعض الناس عبادات في هذا الشهر لم تثبت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، ومن ذلك:

١ - الاحتفال بليلة النصف من شعبان:

لا يوجد دليل شرعي صحيح يُعتمد عليه في الاحتفاء والاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيصها بصلاة وصيام، ومن المعلوم أنه لا فضل لأيّ وقت على وقت آخر إلا ما فضَّله الشرع، وما ذكره القرطبي عن عكرمة أنه قال في تفسير قول الله تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ

(٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان: ٣- ٤). "إن هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، يُبرَم فيها أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد"، لا يصح، وقد رده كثير من المفسرين، وبينوا بطلانه، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآيتين السابقتين: «يقول تعالى مخبرًا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ » (القدر:١). وكان ذلك في شهر رمضان، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان». (تفسير ابن كثير ١٧٦/٤)، كما ذكر الشوكاني رحمه الله أن الجمهور على القول بأنها ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان. (انظر تفسير فتح القدير ٥٧٠/٤).

وقد ناقش الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله القائلين بأن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان، وبيَّن بطلان قولهم، فقال: «وقد بيَّن الله تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان في قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ » (البقرة:١٨٥)، فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك أنها دعوة باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح، ولا شك أن كل ما خالف الحق فهو باطل.

والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنها ليلة النصف من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها، كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين، فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح، بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة». (أضواء البيان ٣١٩/٧).

وقد ذكر الحافظ ابن رجب أن بعض التابعين من أهل الشام هم الذين عظَّموا ليلة النصف من شعبان، واجتهدوا فيها في العبادة، ولم يثبت فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولا عن أصحابه الكرام، وفي ذلك يقول: «وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية». (لطائف المعارف ص١٩٩).

ثم ذكر -رحمه الله- الخلاف الواقع بين التابعين في هذه المسألة، وأطال النَّفَس في ذلك، ثم قال: «ولا يُعرَف للإمام أحمد كلام في ليلة النصف من شعبان، ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلة العيد، فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واستحبها في رواية؛ لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء الشام». (المرجع السابق ص٢٠٠).

ولعل القارئ الكريم يلاحظ أن ابن رجب نصَّ على أنه لم يثبت فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء، ولا عن صحابته الكرام، وكفى بهذا حجة على عدم قيامها أو الاجتماع فيها؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية لا يكون مشروعًا، وعليه فلا يجوز التعبد لله به؛ لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». (مسلم: ١٧١٨).

وقد ذهب كثير من المحدثين وأهل العلم إلى ما ذهب إليه ابن رجب من أن الأحاديث الواردة في فضلها لا تصح. قال أبو شامة: «قال أبو الخطاب ابن دحية: قال أهل التعديل والتجريح: ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث صحيح». (الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٣٣).

والأحاديث التي استدل بها القائلون بقيامها وصومها لا تصح، كحديث: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر». وهذا الحديث رواه ابن ماجه عن علي كما في سننه (٤٤٤/١). قال البوصيري في الزوائد: «إسناده ضعيف لضعف ابن أبي سبرة، واسمه: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة. قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع

الحديث». (المرجع السابق).

وقال فيه الذهبي: «ضعفه البخاري وغيره، وروى عبد الله وصالح ابنا أحمد عن أبيهما قال: كان يضع الحديث، وقال النسائي: متروك». (ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٦/١٧٧).

ومثله حديث أبي موسى الأشعري: «إن الله ليطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن». (سنن ابن ماجه ١/٤٤٥).

قال البوصيري في الزوائد: «إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة، وتدليس الوليد بن مسلم». (المرجع السابق).

كما استدل البيهقي على فضلها بحديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: قالت: «فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله، ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كَلْب». (رواه أحمد في مسند ٦/٢٣٨، والترمذي في سننه، وقال عقبه: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمدًا يُضَعِّفُ هذا الحديث، وقال يحيى بن أبي كثير: لم يسمع من عروة، قال محمد: والحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. (تحفة الأحوذي: ٤٤١).

فالحديث إذن منقطع في موضعين: أحدهما: ما بين الحجاج ويحيى، وما بين يحيى وعروة، ومع هذا فالحديث لا يدل على فضل هذه الليلة دون غيرها من الليالي، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». (البخاري: ١١٤٥، ومسلم: ٧٥٨).

فهذا الحديث يدل على أن اطلاعه على خلقه وغفرانه لهم دائم في ليالي العام، وليس متوقفًا على ليلة معينة من السنة، وقد ذكر الشيخ علي محفوظ رحمه الله أن احتفال المسلمين بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم قال: «وجملة القول: أن كل الأحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان دائرٌ أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة، فقد نقل أبو شامة الشافعي عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال في كتابه «العارضة»: ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه». (الإبداع في مضار الابتداع ص٢٨٧).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في الاحتفال بليلة النصف من شعبان: «وهو من مواسم البدعة التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه». (مجلة المنار: ٣/٦٦٥).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله- بعد ذكره لكلام أهل العلم في الاحتفال بليلة النصف من شعبان-: «ومما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتضح لطالب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها، وتخصيص يومها بالصيام بدعة عند أكثر أهل العلم، وليس له أصل في الشرع المطهر، بل هو مما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يومها بصيام من بين الأيام؛ إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم»، فلو كان تخصيص شيء من الليالي بشيء من العبادات جائزًا، لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها؛ لأن يومها هو خير يوم طلعت عليه الشمس بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيصها بالقيام من بين الليالي، دل ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى لا يجوز تخصيص شيء منها بشيء من العبادة، إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص. (التحذير من البدع ص١٥، ١٦).

ومن البدع التي يفعلها البعض في ليلة النصف من شعبان الدعاء المخترع ونصه: «اللهم يا ذا المن ولا يُمَنُّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول والإنعام، لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين وجار المستجيرين، وأمان الخائفين، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا، أو مطرودًا أو مقترًا عليَّ في الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني، وطردي وإقتار رزقي وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل: «يمحو الله

ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»، إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المكرم، التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم؛ أسألك أن تكشف عنا البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم».

وهذا الدعاء لا أصل له، ومثله لا تجوز نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ علي محفوظ: «وأما الدعاء الذي تجتمع له الناس في المساجد هذه الليلة فلم يثبت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأصل هذه البدعة ما نُقل عن اليافعي أنه قال: إن أولى ما يدعى به في ليلة النصف من شعبان: اللهم يا ذا المن ولا يُمَنُّ عليه.. إلخ». (الإبداع ص٢٩٠).

وقال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري بعد ما ذكر أنه دعاء لا أصل له ولا مستند: «فيا عباد الله! شيء لا هو في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في عبادة خلفائه، ولا أصحابه، ولا أتباعه، كيف تتعبدون به؟! والصحابة يقولون: كل عبادة لا يتعبد بها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها». (السنن والمبتدعات ص١٤٧).

٢- بدعة الصلاة الألفية:

هذه الصلاة المخترعة سُميت بالألفية لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة؛ لأنها مائة ركعة، ويقرأ المصلي فيها سورة الإخلاص عشر مرات في كل ركعة، فينتج هذا العدد، وأول من أحدث الصلاة الألفية في ليلة النصف من شعبان رجلٌ يعرف بابن أبي الحمراء من أهل نابلس، قدم على بيت المقدس سنة ٤٤٨هـ، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فصلى خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلقٌ كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استقرت كأنها سُنَّة. (انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٢١، ١٢٢).

وهذه الصلاة المبتدعة ليست من الهدي النبوي، بل هي مما اخترعه بعض الناس كما ذكرت آنفًا، والأحاديث الواردة في صفتها والأجر المترتب عليها غير صحيحة، بل نص أهل العلم على أنها موضوعة. قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا نشك أنه موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل وفيهم ضعفاء بمرة، والحديث محال قطعًا». (الموضوعات ١٢٧/٢).

وقال الشوكاني: «حديث: يا علي، من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، عشر مرات قضى الله له كل حاجة"، هو موضوع، وفي ألفاظه المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمتري إنسان له تمييز في وضعه، ورجاله مجهولون، وقد روي من طريق ثانية وثالثة كلها موضوعة، ورواتها مجاهيل». (الفوائد المجموعة حديث: ١٠٦).

وقد تتابعت كلمات أهل العلم على بدعيتها، قال ابن تيمية: «وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من شعبان العام للصلاة الألفية في المساجد الجامعة، ومساجد الأحياء والدروب والأسواق، فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان وعدد، وقدر من القراءة لم تشرع؛ مكروهٌ، فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوعٌ باتفاق أهل العلم بالحديث». (اقتضاء الصراط المستقيم ٦٢٨/٢).

وقال الشيخ علي محفوظ: «وأما الصلاة المخصوصة التي يفعلها بعض الناس في هذه الليلة فقد ذكر حديثها في الإحياء، وقوت القلوب، ولكن قد صرح جماعة من الحفاظ بأنه موضوع. وقال الحافظ العراقي: "حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم"».

وقال الإمام النووي في كتابه المجموع: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا نغتر بذكرهما في قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما؛ فإن كل ذلك باطل». (الإبداع ص٢٨٨).

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لإحياء السنن ،وإماتة البدع، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
التوحيد

حَلب تحترق.. بين الظلم الدولي والتآمر الإيراني

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

«حلب تحترق» كلمتان لخصت بهما ما يحدث في سوريا الآن.. حيث المشاهد والوقائع المأساوية التي يندى لها الجبين، «حلب تحترق».. فهل تتحرك ضمائركم وتستيقظ إن كان هناك أمل في استيقاظها؟!

البراميل تنفجر فتقتل الأخضر واليابس.. إنها حلب بكل أطيافها، أهل السنة يبادون، منظر تقشعر منه الأبدان، المستشفيات تدك على رؤوس المرضى والجرحى والأطباء.. والمدارس تباد.. والأحياء المكتظة بالسكان تحترق فهل من مجيب؟! مستشفى القدس في حلب، ومستوصف طبي يتم قصفهما بالطائرات على رؤوس من فيهما بالطيران السوري الروسي بموافقة أمريكية.. وتفاهم غربي!!

حلب أقدم مدينة في التاريخ، والتي يعود تاريخها إلى سبعة آلاف عام قبل الميلاد.. عشرات الغارات تقصف مدينة حلب، خاصة المناطق التي تسيطر عليها المعارضة السورية.

البراميل المتفجرة تلقيها الطائرات السورية الروسية.. «حلب تحترق» جريمة إبادة أخرى على شعب سوريا، وعلى أرضها مئات القتلى والجرحى.. وصمت عالمي غريب!!

حلب التي تمثل ربع سكان سوريا، مدينة الثروة والتجارة، وموطن معادلات الصراع الإقليمي والدولي، كان القصف والإبادة من نصيبها!!

المجازر ترتكب بحق أهالي حلب بشكل خاص، وسوريا بشكل عام تحت سمع وبصر العالم الذي يتقاسم مع النظام السوري مناطق النفوذ، مدعومًا من روسيا وإيران وحزب الله الشيطاني (أقصد اللبناني).. حلب تذبح!! فأين أنتم يا عرب؟! لك الله يا حلب، ولك الله يا سوريا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حلب التاريخية تحدد مستقبل الصراع في سوريا

«حلب تحترق».. تلك المدينة التاريخية التي تستمد أهميتها من موقعها الاستراتيجي، فضلاً عن كونها ذات أهمية رمزية كبيرة، فهي من أقدم مدن العالم، وثاني أكبر مدينة سورية، وكانت أكبر المراكز الاستراتيجية الاقتصادية، والمدينة السياحية الأولى، وكانت الموقع المفضل للعديد من البعثات الدبلوماسية لفترة طويلة

من الزمن، ومعظم سكان المدينة عرب من المسلمين السنة، مع أقلية سنية كُردية وتركمانية، إلى جانب أكبر جالية مسيحية في سوريا، وأقليات شيعية وعلوية.

وتعتبر مدينة حلب وريفها في الشمال السوري مركزاً لتجمع معظم التشكيلات والقوى العسكرية المتقاتلة على الأرض السورية، إذ تسيطر داعش على أجزائها الشرقية وصولاً إلى مدينة مارع والحدود التركية، بينما تسيطر القوات الكردية على الجزء الغربي انطلاقاً من عفرين وصولاً إلى مطار منغ العسكري وتل رفعت. في حين تسيطر قوات النظام وحزب الله والميليشيات الشيعية على أجزاء من الريف الشمالي انطلاقاً من السجن المركزي والمدينة الصناعية، وصولاً إلى نبل والزهراء.

وتكمن أهمية مدينة حلب في أنها تشكل امتدادًا من ناحية الشمال الشرقي والغربي لتركيا، وتعتبر أحد حصون المعارضة السورية المعتدلة.

ويسعى النظام السوري بشدة للسيطرة على حلب لضبط الأوضاع على الحدود السورية التركية التي باتت بوابة لآلاف من قوات المعارضة بمختلف أنواعها، والتي تدخل عبر تركيا، ما يعني قطع الإمدادات التركية للمليشيات المعارضة.

وتُعد حلب أحد معقلين كبيرين للمعارضة السورية على الحدود الشمالية مع تركيا، بجانب مدينة إدلب، وتعتمد المعارضة في الشمال بشكل كبير على تأمين المساعدات والإمدادات عبر تركيا إلى حلب وإدلب من خلال معبري باب السلامة وباب الهوى، ومع قطع طريق الإمدادات في حلب لا يبقى للمعارضة سوى طريق إدلب للحصول على الإمدادات، فيما تتمتع جبهة النصرة «فرع تنظيم القاعدة السوري بنفوذ كبير في إدلب مقارنة بحلب».

وقد نشرت مقالة للبروفيسور «روبرت تايلور» أستاذ الاقتصاد البريطاني بمجلة القوات المسلحة الأمريكية تحت عنوان: «صراع الأنابيب في سوريا»، عن عرض قدمته قطر لدمشق عام ٢٠٠٩م لمد خط أنابيب يحمل الغاز القطري والسعودي ويمر عبر سوريا في حلب متجهًا إلى تركيا ثم أوربا، ولكن سوريا فضلت توقيع اتفاق مع إيران لمد خط أنابيب عبر العراق لتزويد أوربا بالغاز الإيراني!!

ومن هذا المنطلق يأتي التدخل الروسي في القتال في سوريا؛ لكون روسيا تحتكر تزويد أوربا بالغاز عبر شركة «تمازيروم» العملاقة، وهو ما يجعل أوربا تبحث عن بدائل للغاز الروسي في ظل الأزمة الأوكرانية!! وفي المقابل ستحصل تركيا على امتيازات اقتصادية وسياسية كبيرة من المشروع القطري السعودي كونها ستصبح المعبر الأساس لإيصال الغاز إلى أوربا.

سايكس بيكو الجديدة.. ومرحلة التقسيم

إن ما يحدث في حلب على مرأى ومسمع من العالم الصامت المتخاذل، بل المنفذ للمؤامرات وخطط التقسيم، ليس تصرفًا فرديًا من بشار وبوتين، بل هو جريمة دولية مخطط لها لانتزاع آخر معاقل استعادة الحرية عند العرب، وإن المنطقة العربية مقبلة على أكبر من سيكس بيكو، إذ إن الخطة هي تدمير الإنسان وهو في بيته، وسحق إرادة الأمة، وإلغاء العمق العربي (مصر والشام) من التاريخ، «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ» (الأنفال:٣٠).

وأمريكا وروسيا والغرب قد رسموا خارطة الطريق، ونحن ننفذها بدقة، كل بلد حسب دوره في التآمر، ولكن ليست هذه هي المرة الأولى في التاريخ، فأمامنا اليمن وسوريا ولبنان والعراق بأيدي إيران، ولا يزال العرب يحسنون الظن بالغرب، بل يتعاونون معهم لإبعاد التيار الإسلامي من ليبيا!!

وقد سجلت مجلة «فورين أفيرز» الأمريكية الضوء على الاضطرابات والصراعات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط في الوقت الراهن بعد مرور مائة عام على اتفاقية «سايكس بيكو»، مشيرة إلى أن هذه الاضطرابات قد تقود

المنطقة إلى تعيين حدود جديدة لها.

وقالت المجلة في مقال للكاتبة «مارينا أوتاوي»: «إن بعض المحللين يتنبئون بقرب إعادة ترسيم حدود الشرق الأوسط في ظل مرور قرن على صورتها الأولى، مشيرة إلى أن الشرق الأوسط على وشك التقسيم، وأن اتفاقية سايكس بيكو قد انتهت، وأن هناك حدوداً وتقسيمات جديدة في المنطقة الآن».

حلب تحترق.. فأين المتشدقون بحقوق الإنسان؟!

حلب تحترق بالمتفجرات والبراميل، والصمت يخيم على الموقف، فأين الأخلاق الإنسانية لمن يتشدقون بالأخلاق وهم لها فاقدون!!

وأين المتشدقون بحقوق الإنسان والمتمسكون بالقوانين الدولية؟! نظام الأسد يحشد الآلاف من المرتزقة من إيران وأفغانستان والعراق، وحزب اللات.

لقد عُلِّقت صلاة الجمعة بمدينة حلب لأول مرة منذ ١٤٠٠ عام في سابقة هي الأولى من نوعها منذ دخول الإسلام إلى المدينة؛ للحفاظ على أرواح المسلمين من قصف القوات الروسية والنظام السوري أثناء التجمع لأداء الصلاة.

القتلى من المدنيين يتساقطون واحداً تلو الآخر، كأوراق الشجر اليابس التي هبت عليها ريحٌ عاتية ليتساقط أوراق الشجر، والأرض تهتز تحت أقدام سكان حلب.

حلب تحترق.. وفي السياسة لا تقع الأمور مصادفة، وإن حدث ذلك وبدا أنه مصادفة فتأكد أنه كان مخططًا له، ليظهر وكأنه مصادفة.

الكيل بمكيالين

على الجانب الآخر يلفت النظر ما يواجهه المصريون في الخارج من أحداث عنف، وحوادث قتل بشعة متتالية في دول مختلفة خلال فترة وجيزة لم نسمع بعدها صوتًا لمنظمات حقوقية داخلية أو خارجية، ولا للبرلمان الأوروبي، ولا للأمم المتحدة، فلم ينتقدوا الغرب كما انتقدوا مصر بسبب حادث مقتل الباحث الإيطالي في مصر، فلنطرح أيضًا ملفات مقتل المصريين في دول لم تكشف النقاب عن الحقائق وراء كل قضية، فمثلاً إسقاط الطائرة المصرية في الأجواء الأمريكية عام ١٩٩٩م، ومقتل ٢١٧ راكبًا كانوا على متنها، ألا يستحق فتح التحقيق فيه مرة أخرى؟! لِمَ لا نطالب بكشف النقاب عن الغموض الذي اكتنف مقتل شخصيات مصرية قُتلت في لندن خلال الأزمنة المختلفة الماضية؟!

أين هؤلاء العابثون مما حدث ويحدث في حلب وما يحدث للشعب السوري المسلم؟!

أين ضمائر هؤلاء الذين تركوا عشرات الآلاف المشردين والهاربين من جحيم الأسد في سوريا، يلقون حتفهم في البحر في الشتاء القارص، وفي الصحراء في الحر الشديد، فضلاً عن الغَرَق والمطاردة، والتعذيب والجوع، وما زالت صور الأطفال السوريين تتقاذفهم الأمواج يندى لها الجبين، وصمة عار في حق المجتمع الدولي الجبان، دون أن تتحرك الضمائر التي ماتت بلا رجعة، بل يشاركون في إبادة الشعب السوري على مدار خمس سنوات، ينفذون مؤامرات التقسيم في الدول العربية والإسلامية، وتفتيتها وانهاك جيوشها، وانفاذ ثرواتها، والبعض منا يشارك هؤلاء الأوغاد في تنفيذ مآربهم وخططهم ومؤامراتهم علنًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

التواطؤ الغربي مع روسيا وإيران في حلب

حلب تحترق.. ومنذ أسبوعين، وفيما يبدو أن ذلك يتم في ظل إطار ترتيبات تقسيم جديدة ترعاها القوى العظمى ذات اليد الطولى في الشأن السوري، يخوض النظام الرسمي هناك حربًا ضروسًا لاسترداد المدينة العريقة من أيدي مسلحي جبهة النصرة، وأعوانهم، الذين يسيطرون على أحيائها الشرقية، القصف كان متبادلاً بين جميع الأطراف والمدينة التي كان يقطنها حتى بداية هذا العام ما يقرب من ستة ملايين نسمة ١٩٠كم٢ تئن تحت قصف من قوات النظام أوقع مئات القتلى، وهي حرب إبادة لسكان حلب، يشارك فيها جميع الأطراف، كما هو واضح من صور القذف وآثاره، الأطفال كالنساء، كالرجال، القتل لم يفرق في حلب، المنازل، كالمدارس كالمستشفيات،

القنابل الموجهة لم تستثن أحدًا، الأشلاء في كل مكان!! والجريمة التي لا تقل عن جريمة القصف والإبادة في حلب، الموقف المخزي للدول العربية التي آثرت الصمت كما فعل الغرب وحلفاؤه الذين خططوا مع إيران وروسيا للاستيلاء على حلب، والأنباء الواردة تؤكد أن اتفاقات القوى العظمى في هذا الشأن تضم أطرافا عربية، أي: أن بعض الدول العربية أصبحت ضالعة في المؤامرة على سوريا وشعبها من بداياتها إلى نهاياتها.

هكذا يتم التقسيم والقتل والدمار والقصف، ولم ينتفض أحد لذلك الذي يجري، بل لم يحرك أحد ساكنًا، إلا بعض التصريحات العربية والدولية التي تصدر بصورة آلية في أعقاب النكبات العربية عمومًا.

فأين العالم العربي والإسلامي؟! وأين ردهم على التواطؤ الأمريكي الغربي مع روسيا وإيران في تمزيق سوريا، وإبادة شعبها؟!

الهزائم نتاج التفريط والهوان

حلب تحترق.. وإن المتأمل في هزائم المسلمين المتلاحقة، وضعفهم الحثيث، واستكانتهم المستحوذة عليهم أمام أعدائهم؛ يجد أنها لم تكن بدعاً من الأمر، ولا هي نتائج بلا مقدمات، ولم تكن قط قد قفزت هكذا طفرة دونما سبب، وإنما هي ثمرة خلل وفتوق في ميدان الأمة الإسلامية، وتقصير ملحوظ تجاه خالقها ورسولها صلى الله عليه وسلم ودينها. وهذه الثغرات والفتن هي التي أذكاها أعداء الإسلام بما يبثونه عبر سنين عديدة من المكر والخديعة على الإسلام والمسلمين.

إن الكثيرين منا ليتساءلون إثر كل بلية تحل بدار الإسلام ما السبب؟.. وكيف؟.. ولم؟.. ومم؟.. وعم؟.. كل صور الاستفهام تتناثر صيحاتها في مسامعنا حينا بعد آخر. ولكن هل نجعل هذا التساؤل جديداً على أسماعنا؟ أم أن في أفئدتنا وما أعطانا الله من صلة بكتابه العزيز، ما يذكر بسؤال مماثل للرعيل الأول في أزمة هي من أشد الأزمات التي حلت بهم، ألا وهي هزيمتهم في معركة أحد، يندبون حالهم، ومن ثم يتساءلون فيقول الله عنهم: «أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَا» (آل عمران:١٦٥) فيجيبهم الله بخمس كلمات لم ينسب ولا في كلمة واحدة سبب الهزيمة إلى جيش ولا إلى عدة، ولا إلى تحرف في قتال، وإنما قال لهم بصريح العبارة: «قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ» (آل عمران:١٦٥).

يقول الله لهم ذلك؛ ليبين لهم ولمن بعدهم بوضوح أن خواتيم الصراعات والمدافعات بين الأمم على كافة الأصعدة لا يمكن أن تقع خبط عشواء، وإنما هي وفق مقدمات أثمرت النتيجة بعد استكمال أسبابها: «وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ» (الشورى:٣٠).

حلب تحترق.. وتقع الهزائم ليستيقظ الناس وتتوالى الضربات لتحل المحاسبة محل النفس، ويتضح مثل هذا بما أتبع الله سبحانه الآية بقوله: «وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ» (آل عمران:١٦٦، ١٦٧).

لقد كتب الله سبحانه على نفسه النصر لرسله وأوليائه فقال سبحانه: «كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ» (المجادلة:٢١)، ولكن الله سبحانه علق هذا النصر بتحقيق الإيمان في القلوب، واستيفاء مقتضياته في كل مناحي الحياة، وهذه هي سنة الله في النصر، وسنة الله لا تحابي أحدًا.

وحين تقصر الأمة وتفرط فعليها أن تقبل النتيجة المرة؛ لأنها مع كونها مسلمة إلا أن ذلك لا يقتضي خرق السنن وإبطال النواميس.

اللهم انصر أهل السنة في حلب، وفي سوريا على أعدائك أعداء الدين، اللهم مكن لهم، وزلزل الأرض من تحت أقدام أعدائهم، اللهم رد كيدهم في نحورهم، اللهم عليك بالأسد وأعوانه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

الحلقة الثالثة

قال تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾» **(الجاثية: ١٤- ١٨).**

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إرْشادُ رَبِّ العالمينَ عبادَهُ المؤمنينَ إلى كيفيَّة مُعاملة الآخرينَ:

«قُلْ للَّذينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للَّذينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّه ليَجْزِيَ قَوْمًا بمَا كَانُوا يَكْسبُونَ (١٤) مَنْ عَملَ صَالحًا فَلنَفْسه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»:

قَالَ الْقُرْطُبيُّ وَالسُّدِّيُّ: نَزَلَتْ في نَاس منْ أَصْحَاب رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم منْ أَهْل مَكَّةَ، أَصَابَهُمْ أَذًى شَديدٌ منَ الْمُشْركينَ فشَكَوْا ذَلكَ إلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَرَهُمُ الله بالتَّجَاوُز عَنْ ذَلكَ لمَصْلَحَة في اسْتبْقَاء الْهُدُوء بمَكَّةَ، وَالْمُتَارَكَة بَيْنَ الْمُسْلمينَ وَالْمُشْركينَ فيها مَصَالحُ جَمَّةٌ منْ شُيُوع الْقُرْآن بَيْنَ أَهْل مَكَّةَ وَبَيْنَ الْقَبَائل النَّازلينَ حَوْلَهَا، فَإنَّ شُيُوعَهُ لاَ يَخْلُو منْ أَنْ يَأْخُذَ بمَجَامع قُلُوبهمْ بالرَّغْم عَلَى مَا يُبْدُونَهُ منْ إعْرَاض وَاسْتكْبَار واسْتهْزَاء، فَتَتَهَيَّأُ نُفُوسُهُمْ إلَى الدُّخُول في الدِّين عنْدَ زَوَال مُمَانَعَة سَادَتهمْ بَعْدَ هجْرَة النَّبي صلى الله عليه وسلم إلَى الْمَدينَة، وَبَعْدَ اسْتئْصَال صَنَاديد قُرَيْش يَوْمَ بَدْر.

وَقَدْ تَكَرَّرَ في الْقُرْآن مثْلُ هَذَا منَ الأَمْر بالصَّفْح عَن الْمُشْركينَ وَالْعَفْو عَنْهُمْ وَالإعْرَاض عَنْ أَذَاهُمْ، وَلَكنْ كَانَ أَكْثَر الآيَات أَمْرًا للنَّبي صلى الله عليه وسلم في نَفْسه، وَكَانَتْ هَذه أَمْرًا لَهُ بأَنْ يُبَلِّغَ للْمُؤْمنينَ ذَلكَ، وَذَلكَ يُشْعرُ بأَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ في وَقْت كَانَ الْمُسْلمُونَ قَدْ كَثُرُوا فيه وَأَحَسُّوا بعزَّتهمْ، فَأُمرُوا بالْعَفْو وَأَنْ يَكلُوا أَمْرَ نَصْرهمْ إلَى اللَّه تَعَالَى.

و «لِلَّذِيـنَ لاَ يَرْجُـونَ أَيَّـامَ اللَّه» يُـرَادُ بِهِـمُ الْمُشْرِكُـونَ مِـنْ أَهْـلِ مَكَّةَ. (التحريـر والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٥/٣٣٨ و٣٤٠)).

وَقَوْلُـهُ: «أَيَّامَ اللَّه» قَالَـتْ فِرْقَةٌ مَعْنَـاهُ: أَيَّامَ إِنْعَامِـه وَنَصْره وَتَنْعِيمِـه فِي الْجَنَّة وَغَيْر ذَلكَ، فَ «يَرْجُـونَ» عَلَـى هَـذَا هُـوَ مِـنْ بَابِـه. وَقَالَ مُجَاهِـدٌ: «أَيَّامَ اللَّه» هِـيَ أَيَّامُ نِقَمِـه وَعَذَابِه، فَ «يَرْجُـونَ» عَلَى هَذَا هِيَ الَّتِـي تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ يَخَافُـونَ، وَإِنَّمَـا تَنَزَّلَـتْ مَنْزِلَتَهَـا مِـنْ حَيْـثُ الرَّجَـاءُ وَالْخَـوْفُ مُتَلاَزِمَانِ، لاَ تَجِـدُ أَحَدَهُمَا إِلاَّ وَالآخَـرُ مَعَهُ مُقْـتَرِنٌ. (المحرر الوجيز لابن عاشور (٥/٨٣)).

وَقَوْلُـهُ تَعَالَـى: «لِيَجْـزِيَ قَوْمًـا بِمَـا كَانُـوا يَكْسِبُـونَ» تَعْلِيـلٌ لِلأَمْـرِ بِالْمَغْفِـرَةِ، وَجُـوِّزَ أَنْ يَكُـونَ تَعْلِيـلاً لِلأَمْـرِ بِالْقَـوْلِ لأَنَّـهُ سَبَـبٌ لاِمْتِثَالِهِمُ الْمُجَازَي عَلَيْه (روح المعاني للألوسي (٢٥/١٤٧))، أَيْ لِكَـيْ يُجَـازِيَ بِالْمَغْفِـرَةِ قَوْمًـا يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ.

فَـإِنْ قِيـلَ: مَـا الْفَائِـدَةُ فِي التَّنْكِـير فِي قَوْله «لِيَجْـزِيَ قَوْمًا» مَـعَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ هُـمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْله «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا»؟

قُلْنَـا: التَّنْكِيرُ يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيم شَأْنِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيـلَ: «لِيَجْـزِيَ قَوْمًـا» وَأَيَّ قَـوْمٍ، مِـنْ شَأْنِهِـمُ الصَّفْحُ عَـنِ السَّيِّئَات، وَالتَّجَاوُزُ عَـنِ الْمُؤْذِيَات، وَتَحَمُّلُ الْوَحْشَة، وَتَجَرُّعُ الْمَكْرُوه.

وَقَـالَ آخَـرُونَ: مَعْنَـى الآيَـة: قُـلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتَجَـاوَزُوا عَنِ الْكُفَّـار، لِيَجْـزِيَ اللَّه الْكُفَّارَ بِمَا كَانُـوا يَكْسِبُونَ مِـنَ الإِثْـم، كَأَنَّهُ قِيـلَ لَهُمْ: لاَ تُكَافِئُوهُمْ أَنْتُمْ حَتَّى نُكَافِئَهُمْ نَحْنُ. (التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ٢٦٤)).

قَالَ ابْـنُ عَطِيَّةَ: قَالَ أَكْثَرُ النَّاسِ: وَهَذِه آيَةٌ مَنْسُوخَـةٌ بِآيَـة الْقِتَـال. وَقَالَتْ فِرْقَـةٌ: الآيَةُ مُحْكَمَـةٌ، وَالآيَـةُ تَتَضَمَّـنُ الْغُفْـرَانَ عُمُومًـا، فَيَنْبَغِـي أَنْ يُقَـالَ: إِنَّ الأُمُـورَ الْعِظَـامَ كَالْقَتْل، وَالْكُفْر مُجَاهَرَةً، وَنَحْـو ذَلكَ، قَدْ نَسَخَ غُفْرَانَهُ آيَـةُ السَّيْـف وَالْجِزْيَـة وَمَـا أَحْكَمَهُ الشَّـرْعُ لاَ مَحَالَـةَ، وَإِنَّ الأُمُورَ الْمُحَقَّـرَةَ كَالْجَفَاء فِي الْقَوْل وَنَحْو ذَلكَ يُحْتَمَلُ أَنْ تَبْقَى مُحْكَمَةً، وَأَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ عَنْهَـا أَقْرَبَ إِلَى التَّقْوَى. (المحرر الوجيز (٥/٨٣)).

ثُـمَّ يُعَقِّبُ اللَّه تَعَالَى عَلَى هَـذَا بِبَيَانِ فَرْدِيَّةِ التَّبِعَـة، وَعَدَالَة الْجَزَاء، وَتَوْكِيـد الرُّجُوع إِلَى اللَّه وَحْـدَهُ فِي نِهَايَة الْمَطَاف، فَيَقُولُ: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِـه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ».

يَقُـولُ تَعَالَـى ذِكْرُهُ: مَـنْ عَمِلَ مِـنْ عِبَاد اللَّه بِطَاعَتِـه فَانْتَهَـى إِلَـى أَمْـره، وَانْزَجَـرَ لِنَهْيِه، فَلِنَفْسِه عَمَـلُ ذَلكَ الصَّالِحَ مِـنَ الْعَمَل، وَطَلَبَ خَلاَصَهَـا مِـنْ عَـذَاب اللَّه، أَطَـاعَ رَبَّـهُ لاَ لِغَيْر ذَلِـكَ، لأَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ ذَلِـكَ غَيْرَهُ، وَاللَّه عَنْ عَمَلِ كُلِّ عَامِـلٍ غَنِـيٌّ. «وَمَـنْ أَسَـاءَ فَعَلَيْهَـا» يَقُولُ: وَمَـنْ أَسَـاءَ عَمَلَـهُ فِي الدُّنْيَـا بِمَعْصِيَتِـه فِيهَـا رَبَّـهُ، وَخِلاَفِـه فِيهَا أَمْـرَهُ وَنَهْيَهُ، فَعَلَـى نَفْسِه جَنَى، لأَنَّهُ أَوْبَقَهَا بِذَلكَ، وَأَكْسَبَهَا بِه سَخَطَهُ، وَلَمْ يَضُـرَّ أَحَـدًا سِـوَى نَفْسِـه «ثُـمَّ إِلَـى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» يَقُـولُ: ثُمَّ أَنْتُمْ أَيُّهَـا النَّاسُ أَجْمَعُونَ إِلَى رَبِّكُـمْ تَصِيرُونَ مِنْ بَعْـد مَمَاتِكُمْ، فَيُجَازِي الْمُحْسِـنَ بِإِحْسَانِـه، وَالْمُسِـيءَ بِإِسَاءَتِـه، فَمَـنْ وَرَدَ عَلَيْه مِنْكُـمْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ جُوزِيَ مِنَ الثَّوَاب صَالِحًا، وَمَنْ وَرَدَ عَلَيْه مِنْكُمْ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ جُوزِيَ مِنَ الثَّوَاب سَيِّئًا (جامع البيان (٢٥/ ١٤٥)).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ» (الأنعـام: ١٦٠)، وَقَـالَ تَعَالَـى: «فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ» (الزلزلة: ٧- ٨).

وُجوبُ اتِّباع الشَّريعة:

«وَلَقَـدْ آتَيْنَـا بَنِـي إِسْرَائِيلَ الْكِتَـابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُـوَّةَ وَرَزَقْنَاهُـمْ مِـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

يَذْكُرُ اللَّه تَعَالَى أَنَّـهُ أَنْعَمَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ لِيَشْكُـرُوهُ بِاتِّبَاع شَرِيعَتِه، وَالْعَمَل بِمَـا عَلَّمَهُـمْ عَلَـى أَلْسِنَة رُسُلِـه الَّذِيـنَ بَعَثَهُمْ فِيهِـمْ، وَلَكِنَّهُـمْ بَدَّلُـوا نِعْمَـةَ اللَّه كُفْـرًا، وَلَمْ يَتَّبِعُوا شَرِيعَتَهُ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِمَا تَعَلَّمُوا.

قَالَ الـرَّازِيُّ عَفَا اللَّه عَنْهُ: "اعْلَـمْ أَنَّهُ تَعَالَى بَـيَّنَ أَنَّهُ أَنْعَـمَ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ عَلَى بَنِـي إِسْرَائِيل، مَعَ أَنَّـهُ حَصَـلَ بَيْنَهُـمُ الاخْتِلاَفُ عَلَـى سَبِيلِ الْبَغْيِ وَالْحَسَـد: وَالْمَقْصُودُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلـم أَنَّ طَرِيقَةَ قَوْمِه كَطَرِيقَةِ مَنْ تَقَدَّمَ.

وَاعْلَـمْ أَنَّ النِّعَـمَ عَلَـى قِسْمَيْنِ: نِعَـمُ الدِّينِ،

وَنِعَمُ الدُّنْيَا، وَنِعَمُ الدِّينِ أَفْضَلُ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَلِهَذَا بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِ نِعَمِ الدِّينِ، فَقَالَ: «وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ»، وَالأَقْرَبُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُغَايِرًا لِصَاحِبِهِ:

أَمَّا الْكِتَابُ فَهُوَ التَّوْرَاةُ.

وَأَمَّا الْحُكْمُ فَفِيهِ وُجُوهٌ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْعِلْمَ بِفَصْلِ الْحُكُومَاتِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْرِفَةَ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ.

وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فَمَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا نِعَمُ الدُّنْيَا فَهِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ»، وَذَلِكَ لأَنَّهُ تَعَالَى وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَأَوْرَثَهُمْ أَمْوَالَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَدِيَارَهُمْ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى.

وَلَمَّا بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ مِنْ نِعَمِ الدِّينِ وَنِعَمِ الدُّنْيَا نَصِيبًا وَافِرًا، قَالَ: «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْبَرَ دَرَجَةً، وَأَرْفَعَ مَنْقَبَةً مِمَّنْ سِوَاهُمْ فِي وَقْتِهِمْ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْمُرَادُ: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ". (التفسير الكبير (٢٧/٢٦٥ و٢٦٦)).

وَقَالَ الآلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْمُرَادُ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ مُطْلَقًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ لا مِنْ كُلِّهَا، وَلا مِنْ جِهَةِ الْمَرْتَبَةِ وَالثَّوَابِ، فَلا يُنَافِي ذَلِكَ تَفْضِيلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَمِنْ جِهَةِ الْمَرْتَبَةِ وَالثَّوَابِ.

«وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ» أَيْ دَلائِلَ ظَاهِرَةً فِي أَمْرِ الدِّينِ، وَمُعْجِزَاتٍ قَاهِرَةً. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ الْعِلْمُ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وما بَيَّنَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ يُهَاجِرُ مِنْ تِهَامَةَ إِلَى يَثْرِبَ، وَيَكُونُ أَنْصَارُهُ أَهْلَ يَثْرِبَ" (روح المعاني (٢٥/١٤٨)).

ثُمَّ أَوْضَحَ تَعَالَى خَطَأَهُمْ وَعَظَّمَهُ بِقَوْلِهِ: «فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوِ اخْتَلَفُوا اجْتِهَادًا فِي طَلَبِ صَوَابٍ لَكَانَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي الاخْتِلافِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا بَغْيًا وَقَدْ تَبَيَّنُوا الْحَقَائِقَ. (المحرر الوجيز (٥/٨٤)).

وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْكَلامِ التَّعَجُّبُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ، لأَنَّ حُصُولَ الْعِلْمِ يُوجِبُ ارْتِفَاعَ الْخِلافِ، وَهَاهُنَا صَارَ مَجِيءُ الْعِلْمِ سَبَبًا لِحُصُولِ الاخْتِلافِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ نَفْسَ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ طَلَبُ الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ، ثُمَّ هَاهُنَا احْتِمَالاتٌ يُرِيدُ أَنَّهُمْ عَلِمُوا ثُمَّ عَانَدُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْعِلْمِ الدَّلالَةَ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى الْعِلْمِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى وَضَعَ الدَّلائِلَ وَالْبَيِّنَاتِ الَّتِي لَوْ تَأَمَّلُوا فِيهَا لَعَرَفُوا الْحَقَّ، لَكِنَّهُمْ عَلَى وَجْهِ الْحَسَدِ وَالْعِنَادِ اخْتَلَفُوا وَأَظْهَرُوا النِّزَاعَ. (التفسير الكبير (٢٧/٢٦٦)).

ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ تَعَالَى بِوَقْفِ أَمْرِهِمْ عَلَى قَضَائِهِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ:

«إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيمَا كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا يَخْتَلِفُونَ بَعْدَ الْعِلْمِ الَّذِي أَتَاهُمْ، وَالْبَيَانِ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْهُ، فَيَفْلَجُ الْمُحِقُّ حِينَئِذٍ عَلَى الْمُبْطِلِ بِفَصْلِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ. (جامع البيان (٢٥/١٤٦)).

وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَرَّ الْمُبْطِلُ بِنِعَمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا وَإِنْ سَاوَتْ نِعَمَ الْمُحِقِّ أَوْ زَادَتْ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ سَيَرَى فِي الآخِرَةِ مَا يَسُوؤُهُ، وَذَلِكَ كَالزَّجْرِ لَهُمْ.

وَلَمَّا بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ لأَجْلِ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ، أَمَرَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بِأَنْ يَعْدِلَ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ، وَأَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْحَقِّ، وَأَنْ لا يَكُونَ لَهُ غَرَضٌ سِوَى إِظْهَارِ الْحَقِّ وَتَقْرِيرِ الصِّدْقِ، فَقَالَ تَعَالَى:

«ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ» أَيْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَمِنْهَاجٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَاتَّبِعْ شَرِيعَتَكَ الثَّابِتَةَ بِالدَّلائِلِ وَالْبَيِّنَاتِ، وَلا تَتَّبِعْ مَا لا حُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَاءِ الْجُهَّالِ وَأَدْيَانِهِمُ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الأَهْوَاءِ وَالْجَهْلِ. (التفسير الكبير (٢٧/٢٦٦)).

وَالشَّرِيعَةُ فِي اللُّغَةِ: الْمَذْهَبُ وَالْمِلَّةُ.

وَاصْطِلاحًا: مَا شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ.

فَمَعْنَى «جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ» أَيْ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ يَشْرَعُ بِكَ إِلَى الْحَقِّ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عَلَى شَرِيعَةٍ» أَيْ عَلَى هُدًى مِنَ الأَمْرِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشَّرِيعَةُ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحُدُودُ وَالْفَرَائِضُ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ رَحِمَـهُ اللهُ: الْبَيِّنَةُ، لأَنَّهَا طَرِيقٌ إلَى الْحَقِّ.

وَقَـالَ الْكَلْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: السُّنَّـةُ، لأَنَّهُ يَسْتَنُّ بِطَرِيقَةِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ: الدِّينُ، لأَنَّهُ طَرِيقُ النَّجَاةِ.

قَـالَ ابْـنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَـهُ اللهُ: وَالأَمْـرُ يَرِدُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَـا: بِمَعْنَـى الشَّأْنِ، كَقَوْلِـهِ: «فَاتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ» (هود: ٩٧).

وَالثَّـانِي: أَحَـدُ أَقْسَـامِ الْكَلَامِ الَّـذِي يُقَابِلُهُ النَّهْيُ.

وَكِلَاهُمَـا يَصِـحُّ أَنْ يَكُـونَ مُـرَادًا هَـا هُنَـا، وَتَقْدِيـرُهُ: ثُـمَّ جَعَلْنَـاكَ عَلَـى طَرِيقَـةٍ مِـنَ الدِّينِ وَهِيَ مِلَّـةُ الإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ» (النحل: ١٢٣).

وَلَا خِـلَافَ أَنَّ اللهَ تَعَالَـى لَمْ يُغَايِـرْ بَـيْنَ الشَّرَائِـعِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْمَكَارِمِ وَالْمَصَالِـحِ، وَإِنَّمَا خَالَفَ بَيْنَهَـا فِي الْفُرُوعِ حَسْبَمَا عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ (الجامـع لأحكام القـرآن للقرطبـي (١٦/١٦٣ و١٦٤)).

وَلِذَلِـكَ قَـالَ تَعَالَـى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ» (الشـورى: ١٣)، وَقَـالَ تَعَالَـى: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة: ٤٨).

وَقَـدْ بَلَغَتْ هَـذِهِ الْجُمْلَةُ مِـنَ الإِيجَـازِ مَبْلَغًا عَظِيمًـا إِذْ أَفَـادَتْ أَنَّ شَرِيعَـةَ الإِسْـلَامِ أَفْضَـلُ مِنْ شَرِيعَـةِ مُوسَى، وَأَنَّهَا شَرِيعَـةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَنَّ الرَّسُـولَ صلى الله عليه وسلـم مُتَمَكِّنٌ مِنْهَا لَا يُزَعْزِعُـهُ شَيْءٌ عَنِ الـدَّأَبِ فِي بَيَانِهَـا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَـا. وَلِذَلِكَ فَرَّعَ عَلَيْهِ أَمْـرَهُ بِاتِّبَاعِهَا بِقَوْلِهِ: «فَاتَّبِعْهَـا» أَيْ دُمْ عَلَـى اتِّبَاعِهَـا، فَالأَمْرُ لِطَلَبِ الدَّوَامِ مِثْـلُ «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» (النساء: ١٣٦).

وَبَـيْنَ قَوْلِـهِ: «فَاتَّبِعْهَـا» وَقَوْلِـهِ: «وَلَا تَتَّبِـعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُـونَ» مُحَسِّنُ الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الأَمْرِ بِالاتِّبَاعِ وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعٍ آخَرَ.

وَالأَهْـوَاءُ: جَمْـعُ هَـوَى، وَهُـوَ الْمَحَبَّـةُ وَالْمَيْلُ، وَالْمَعْنَـى: أَنَّ دِينَهُمْ أَعْمَـالٌ أَحَبُّوهَا لَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِهَـا وَلَا اقْتَضَتْهَا الْبَرَاهِـينُ. (التحرير والتنوير (٢٥/٣٤٨)).

فَلَيْسَ لأَحَـدٍ أَنْ يَتَّبِـعَ مَـا يُحِبُّـهُ فَيَأْمُـرَ بِهِ، وَيَتَّخِـذَهُ دِينًا، وَيَنْهَـى عَمَّا يُبْغِضُـهُ وَيَذُمُّهُ إِلَّا بِهُدَى مِـنَ اللهِ، وَهُـوَ شَرِيعَتُهُ الَّتِي جَعَـلَ عَلَيْهَا رَسُولَـهُ وَأَمَـرَهُ وَالْمُؤْمِنِـينَ بِاتِّبَاعِهَـا، وَلِهَـذَا كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، وَيَجْعَلُونَ أَهْلَ الْبِدَعِ هُمْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، فَيَذُمُّونَهُمْ بِذَلِكَ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ مَا ظَهَرَ (بدائع التفسير (٢/٤٤٦)).

وَقَـدْ صَرَّحَ رَبُّنَـا سُبْحَانَهُ بِأَنَّ كُلَّ مَـنْ لَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَـهُ فَهُـوَ مُتَّبِعُ الْهَـوَى، فَقَـالَ تَعَالَى: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ» (القصص: ٥٠)، وَسَمَّـى سُبْحَانَـهُ كُلَّ الْمِلَـلِ وَالنِّحَلِ غَـيْرَ الإِسْلَامِ أَهْـوَاءً، فَقَالَ تَعَالَى: «وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (البقـرة: ١٢٠)، وَقَالَ تَعَالَـى: «وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ» (البقـرة: ١٤٥)، وَقَـالَ تَعَالَى: «وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ» (الرعد: ٣٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ» (المائـدة: ٤٨)، وَقَـالَ تَعَالَـى: «وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ» (المائدة: ٤٩).

وَلَا شَـكَّ أَنَّ مَـنْ لَمْ يُسَلِّـمْ لِلرَّسُـولِ نَقَصَ تَوْحِيدُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ بِرَأْيِهِ وَهَوَاهُ، أَوْ يُقَلِّدُ ذَا رَأْيٍ وَهَوَى بِغَيْرِ هُدَى مِـنَ اللهِ، فَيَنْقُصُ مِنْ تَوْحِيدِهِ بِقَـدْرِ خُرُوجِـهِ عَمَّـا جَـاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ، فَإِنَّـهُ قَـدِ اتَّخَذَهُ فِي ذَلِـكَ إِلَهًا غَـيْرَ اللهِ. قَـالَ تَعَالَى: «أَفَرَأَيْـتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَـوَاهُ» (الجاثية : ٢٣): أَيْ: عَبَدَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

قصة نزول عيسى (عليه السلام)

الخطوط العريضة والخلاصة المفيدة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، وتبارك الذي نزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله ربه مبشرًا ونذيرًا وهاديًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، محمد صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين.

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

أما بعدُ: فقد وقفنا بك أيها القارئ الكريم في اللقاء السابق على جوانب من إفساد اليهود لدين رب العالمين، وكيف تاجر اليهود بدين الله، واشتروا به ثمنًا قليلاً، وحرفوا التوراة والإنجيل، وكتموا الحق، وتلاعبوا بدين النصارى، وكيف استطاع بولس اليهودي أن يحرِّف دين النصرانية تحريفًا كاملاً، ثم جاء في القرون الوسطى مارتن لوثر ومن معه، واستطاعوا بما أحدثوه أن يضمنوا ولاء النصرانية لليهود مدى الحياة على أساس عقائدي لا يقبل الشك ولا الجدال، ومن هنا جاءت المواثيق والعهود والأفعال لحماية أمن إسرائيل الحالية وضمان توسعها في المستقبل.

تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة: «إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى «هرمجدون»، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء، وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله أعطى الأرض المقدسة إلى شعبه المختار اليهود، ولأن شعب الله المختار هم اليهود؛ فإن الله يبارك الذين يباركون اليهود، ويلعن لاعنيهم». اهـ.

وهكذا تحول قتلة الأنبياء (الذين لعنهم الله في كل كتاب وعلى لسان كل نبي) تحولوا إلى مصدر للبركة؛ لأنهم شعب الله المختار، وهذه عقيدة من عقيدة النصارى في أمريكا وأوروبا والتي يتزعمها البروتستانت في العالم، وانتقل تأثيرها إلى كثير من الطوائف الأخرى كما فصلنا ذلك فيما سبق.

ملخص الاعتقاد الصحيح:

والآن اسمح لي أن أقدم لك أخي القارئ ملخص الاعتقاد الصحيح في نزول المسيح عليه السلام، ثم نقارن بينه وبين العقائد الفاسدة، سواء عند أهل الكتاب، أو عند أهل الأهواء المتسمين باسم المسلمين، فنشرع-بعون الله تعالى- في تلخيص الاعتقاد الصحيح في نزول عيسى عليه السلام:

١- أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وأقسم على ذلك فيما صح عنه أن نزول عيسى عليه السلام أمرٌ وشيك؛ حيث ينزل ابن مريم حَكَمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولكننا لا نجزم بزمن معين أو وقت محدد.-الله

أعلم بذلك-.

٢- كما أخبر بمكان نزوله كما جاء في صحيح البخاري وغيره بأنه سينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وليس عند البوابة الشرقية للقدس.

٣- وأخبرنا كذلك صلى الله عليه وسلم بالصفة التي سينزل عليها والملابس التي يرتديها (وإنه نازل؛ فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، ينزل بين مَمَصَّرتين (ثوبين) كأنه رأس يقطر وإن لم يصبه بلل» (رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

٤- وسينزل عليه السلام على الطائفة التي وصفها النبي، وهي من أهل السنة والجماعة، وأنها على الحق مجتمعة لقتال الدجال فينزل وقت صلاة الفجر، ويصلي خلف إمام المسلمين، ولا يقبل التقدم عليه؛ تكرمةً لهذه الأمة.

٥- سيكون على يديه مقتل الدجال بإذن الله، وكذلك هلاك يأجوج ومأجوج، الذين سيظهرون بعد نزوله أيضًا، فيتوجه إلى الله بالدعاء عليهم.

٦- كما أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض أربعون عامًا، يعم فيها العدل والأمن، والسلام والمحبة، وتنزع الشحناء من النفوس، وتعم البركة، بإذن الله تعالى في كل شيء.

٧- ثم يموت عيسى الموتة التي كتبها الله عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين.

٨- ثم يبقى الناس بعده سبع سنين في أمن وأمان، وخير وإحسان، ثم تتراجع أحوال الناس، ويدخل إليهم الفساد شيئًا فشيئًا، حتى يصل بهم الأمر إلى السجود للشيطان، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق الذي لا يعرفون حتى كلمة «الله»، بعد أن يرسل الله رياحًا باردة تقبض أرواح المؤمنين، ولا يبقى إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة، ولا يستطيع أحدٌ أن يجزم كم من الوقت على قيام الساعة بعد موت عيسى، لكننا نقول ما أخبر به المعصوم، ألا وهو بقاء الناس سبع سنين على الخير بعد موت عيسى عليه السلام، ثم يدبُّ الفساد، لكن تحديد زمن قيام الساعة بعد ذلك علمه عند الله.

٩- كما تعلمنا من خلال عرضنا لقصة نزول عيسى عليه السلام أنه لن ينزل بشريعة جديدة، وإنما سيحكم بين الناس بشريعة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن محمدًا خاتم النبيين وشريعته باقية إلى قيام الساعة، وأن الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو ذلك الدين الذي اختاره الله ولا يقبل دينًا سواه، وأنه باقٍ إلى قيام الساعة، «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (الصف:٩).

١٠- وعلى هذا سيكون عيسى عليه السلام حاكمًا مقسطًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر دينها؛ بإذن الله سبحانه وتعالى.

أخي الكريم!! هذه الحقائق الإيمانية هي خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في أمر نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وهي نابعة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن أمارات الساعة وعلاماتها، وهذا من أماراتها وعلامتها، فنزول عيسى عليه السلام من أمارات الساعة وعلاماتها؛ كما أخبر بذلك ربنا عز وجل: «وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ» (الزخرف:٦١)، والآيات السابقة واللاحقة تتحدث عن عيسى عليه السلام وعن وجوب الإيمان به، كما جاء في القرآن، وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه عليه الصلاة والسلام.

وكل ما عدا ذلك من المراء والشك الذي لا يفيد حقًا ولا علمًا هو من تخريص الشيطان.

ويكفي أن تعلم أخي القارئ أن ما يستند إليه أهل الكتاب فيما يدعونه لا يقوم على حق من كتاب أو سنة إنما هو أضغاث أحلام وتفسير رؤى ومنامات، وقد اختلفت المشارب والأفهام في تأويلها، وذهب كل فريق إلى مذهب، وقد وقعوا فيما نهاهم الله عنه، واتبعوا الشيطان، حيث قال لهم الله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: «وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ» (الزخرف:٦١)، فلم يتبعوا محمدًا صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم، وصدهم الشيطان وقد حذرهم الله منه: «وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ» (الزخرف:٦٢).

والحقيقة المؤكدة أننا لا يمكن أن نقارن بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين قول الله والرسول، وبين أقوال البشر، بل أحلام البشر ورؤاهم وتفسيراتهم، فما جاء به القرآن، وما قاله النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، وما عداه باطل، وهو الهدى وما عداه ضلال، وهو اليقين وما عداه شكوك وأوهام وأضغاث أحلام وأقوال بشر، وشتان شتان ما بين قول البشر وبين قول خالق البشر سبحانه، والحقائق التي تعلمنا إياها من الكتاب والسنة تنفي ما عداها من الأوهام التي ذهب إليها القوم.

ونستطيع أن نلخص أوهام المشركين في النقاط التالية:

١- اليهود ينتظرون مجيء المسيح للمرة الأولى؛ لأنهم كفروا به عندما بعثه الله لهم، واتهموا أمه الطاهرة البتول، وحاولوا صلبه وقتله.

٢- النصارى ينتظرون عودة المسيح للمرة الثانية، ويعتبرونه الله الذي سينزل من عليائه في كوكبة من الملائكة، وسيصاحب نزوله انقلابًا كونيًا يذهب ضوء الشمس والقمر وتتساقط النجوم والكواكب، ويقيم الدينونة على الجميع، وسيعود بالنصارى فوق السحاب، أو يأخذهم هو فوق السحاب حيث يكون؛ لينجيهم من هول الأرض.

٣- يعتقد اليهود والنصارى أن المسيح سيحكم الأرض ألف عام، ويسمونها بالألفية السعيدة، وبينما يعتبره النصارى أنه الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، فإن اليهود يعتبرونه ملكًا ويسمونه (الميا) رب الجنود وقائد عصابات، وسافك دماء، ولينقذ شعبه ويعيد مملكة إسرائيل، ومع ذلك فإنهم يسمونه ملك السلام، وهو في الحقيقة المسيح الدجال الذي سيتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان.

٤- «رغم الخلافات بين جماعات النصارى وفرقهم المختلفة إلا أن هناك ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة حول العالم، وهي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض، وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة». (ول ديورانت- قصة الحضارة).

٥- يعتقد اليهود والنصارى أن عودة المسيح ستكون على رأس ألف عام، وانتظره الجميع على رأس الألف عام الميلادية الأولى، وقد شاع في نهاية القرن الأول نبوءة عودة المسيح، فهرع الناس لاستقباله في أفواج كثيفة قاصدين بيت المقدس، تاركين وراءهم الأهل، تاركين كل شيء. وفي يوم ٩٩٩/١٢/٣١ بالتحديد خرج النبلاء والفلاحون جميعًا يتحلقون الصلبان المنصوبة في الطرقات وتحت تأثير الرهبة من لقاء المسيح قام الأغنياء بتوزيع ثرواتهم من الذهب والمجوهرات على الفقراء، وانتظروا ثم انتظروا ولم يأت ما ينتظرون، ومرت الألف الأولى، وجاءت الألف الثانية، وقرب نهاية الألف الثانية انتظروا ومنُّوا أنفسهم، ولم يأتِ ما ينتظرون.

والمشكلة كل المشكلة أنهم يعتمدون على الظن والتخمين لا على الحقائق واليقين، والمعلوم أن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وهم رغم ذلك يحاولون إنزال هذا الظن على الواقع بل ينزلونه فعلاً، وكأنه حق، ويترتب على ذلك أمور تقع لهم ولغيرهم، بل كم من دماء أسيلت، وأرواح أزهقت، وكم سفكوا من جراء ذلك من دماء الأطفال والنساء؟!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى لقاء نجيب على سؤال هام: ما العمل؟

أسأل الله لي ولكم الثبات على الحق، والهداية على الصراط المستقيم.

أمة الإسلام بين ذهاب الصالحين وابتداع الغالين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لا تحيى الأمم، ولا ترقى الشعوب إلا بعظمائها، وعظماء أمَّة الإسلام هم أهل الصلاح والإصلاح، وبغياب هؤلاء يتصدر الغالون؛ فتضيع الأمة بين ذهاب هؤلاء وتصدُّر أولئك.

إعداد/ **د. مرزوق محمد مرزوق**

الحديث:

عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ، كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَهُ».

العزو:

والحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين رقم (٦٠٧٠) ط ابن كثير ت البغا.

ترجمة راوي الحديث:

ومرداس الأسلمي: هو الصحابي الجليل: مرداس بن مالك، الأسلمي رضي الله عنه، ويكفيه شرفًا فوق صحبته أنه ممن بايع تحت الشجرة، وقد روى عنه قيس بن أبي حازم، وتفرد بذلك. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٦٠).

الشرح:

سبحان الله! من علامات الساعة ذهاب العلم كما في البخاري وغيره «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم،... الحديث» (صحيح البخاري ٩٨٩)، وذهاب العلم ينبئ بذهاب العمل، ومن علامات الساعة ذهاب الصالحين، وهو مستفاد من حديثنا، ومن حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّه شَرِيطَتَهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْض، فَيَبْقَى فيهَا عَجَاجَةٌ لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا» (أخرجه أحمد (٦٩٦٤)، قال الهيثمي (٨/ ١٣): رواه أحمد مرفوعا وموقوفا ورجالهما رجال الصحيح. والحاكم (٨٣٤١) وقال: صحيح على شرط الشيخين).

ومن علامات الساعة أن أفضل القرون أولها، وشرها آخرها؛ كما في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، (خَيْرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ......») (صحيح البخاري ٢٥٠٩).

ولا شك أن قلة العلم معناها قلة الصالحين بقلة العمل والدعاء (كما أفاده الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ١٤٧» وعندئذ لا يباليهم الله باله ولا يعبأ بهم.

توضيح

هذا وإن كان قد تقرر ذلك ولأن من أصول دعوتنا ما أرشد إليه ديننا من التبشير لا التنفير؛ فإننا نشير إلى أن ذهاب الصالحين على سبيل الجملة وعلى فترات زمنية طويلة، وإلا فقد يرزق الله ببعض المتأخرين ممن هو أبر من بعض المتقدمين، فليس المقصود نفي الخيريّة عن أمتنا بالكلية

حتى لا يتسرب اليأس، وإلا فكما أن السنة أشارت إلى المرض فقد أرشدت إلى العلاج، وهو المراد ومسعانا من الكلام في مثل هذا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وتبقى حفالة كحفالة التمر لا يباليهم الله باله»: والحفالة هي الرديء من الشيء وهي حثالته وهؤلاء من البشر لا يباليهم الله باله، أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا واعتبارًا؛ لهوانهم عليه من تفريطهم في أمره وتجرؤهم على محارمه ونهيه (أفاده النووي في تهذيب الأسماء واللغات ١٧/١ بتصرف كبير، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١٦/١٧») وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢٤٩/٩».

ومن فوائد الحديث:

أولا: صدق نبوته وحجية سنته، وقد اتضح ذلك مما سبق بيانه وعلا برهانه في الشرح والتذكرة والذكرى تنفع المؤمنين، وهو رد على منكري السنة ممن علت أصواتهم في هذه الأيام.

ثانيا: إن خيار هذه الأمة أولها، وهو رد على مَن تنقص من علماء السلف.

وإنَّ هذه الخيرية التي شهد بها نبينا تبقى لنا موطن إرشاد ودليل عمل وذلك دافع لنا إلى سلوك سبيلهم؛ سبيل المؤمنين، وإن الناظر إلى أحوالهم ليبصر بعين قلبه أن السبيل الأوحد لما وصلوا إليه من خيرية هو تحريهم لسبيل نبيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، تجد ذلك في آثارهم، أفعالهم، أقوالهم، بل ووصلت إلى المباح لهم في أيامهم من عادات أباح الله لكل أن يختار لنفسه ما شاء كعادات أكل وشرب ونحو ذلك مما هو حلال في أصله.

ومن قصصهم في ذلك:

قصة الخاتم من الذهب واستجابتهم على الفور:

ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اصطنع خاتمًا من ذهب، وكان يَلبسه فيجعَل فصَّه في كفه، فصنَع الناس خواتيم، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: «إني كنتُ ألبس هذا الخاتم وأجعل فصَّه من داخل» فرمى به ثم قال: «والله لا ألبسه أبدًا» فنبَذ الناس خواتيمهم» (البخاري (٦٦٥١) ومسلم (٢٠٩١»). فسبحان الله! لبسوا الخاتم حين لبسه صلى الله عليه وسلم، وخلعوه على الفور حين خلعه.

وليس هذا فحسب بل وفي صحيح مسلم (٢٠٩٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى خاتمًا في يد رجل فنزعه فطرَحه، وقال: «يَعمِد أحدكم إلى جمرة من نارٍ فيجعلها في يده!»، فقيل للرجل بعدما ذهَب رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: خذ خاتمك انتفع به، قال: «لا والله، لا آخُذه أبدًا؛ قد طرحه رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم)، فترك الانتفاع ولا ببيعه مع جواز ذلك مبالغة في التأسي والمتابعة.

ومن ذلك الكثير مما يملأ الأفئدة مما امتلأت به الدواوين أمثال قصة خلع الصحابة لنعالهم، وهم في الصلاة؛ لمجرد أن رأوا النبي قد خلعها، ولم ينتظروا انتهاء الصلاة كي يسألوا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «صَلَّى بنَا رَسُول اللهِ- صَلَّى الله عَلَيْه وَسلم- فَلَمَّا صَلَّى خَلع نَعْلَيْه فوضعهما عَن يسَاره، فَخلع الْقَوْم نعَالهمْ، فَلَمَّا قَضَى صلَاته قَالَ: مَا لكم خلعتم نعالكم؟ قَالُوا: رَأَيْنَاك خلعت فخلعنا» (مستدرك الحاكم ٩٥٥ وصححه ووافقه الذهبي).

ومن ذلك قصة أبي مسعود البدري عندما كان يضرب غلامه فوعظه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو مسعود: (لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا)، وهي في صحيح مسلم (١٦٥٩).

ومن ذلك ما رواه أبو داود من حديث أم المؤمنين عائشة في قصة نزول آية الحجاب واستجابة نساء الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن ذلك قول جابر بنِ عبد الله في طعام الخل: «فما كان من شيء أحب إلي من الخل» لمجرد أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «نعم الإدام الخل» والحديث في سنن أبي داود ٣٨٢١، وصححه الألباني.

وكذلك قول أنس في طعام الدباء: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ الْقَصْعَة، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئذٍ) (صحيح البخاري ١٩٨٦)، وذلك لمجرد أن رأى رسول الله يأكل الدباء. ومثل ذلك كثير، فلتراجع مثل هذه الآثار في مظانها.

ومن سمات هؤلاء الصالحين أنهم يتنكرون

لأنفسهم وزمانهم:

وإن تعجب بعد تلكم السيرة العطرة لهؤلاء الصالحين فاعجب من تنكرهم لأنفسهم وأزمنتهم مما يزيد المنصف حبًا في سيرتهم، فيحتار بين ما يأخذ وما يذر من جميل صنيعهم، فلنعذر إذ نكتفي ببعض ما ورد عن أفضل قرن زكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم).

ومن ذلك:

١- ما أورده في قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/٢٢٩) عن حذيفة بن اليمان يقول: اليوم المنافقون أكثر منهم على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه، وقيل للحسن: إنَّ قوماً يقولون لا نفاق اليوم. فقال: يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرقات، وعنه وعن غيره: لو نبت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض» ا.هـ.

(ونحو ذلك كثير في مثل حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، وإعلام الموقعين لابن القيم، فلتراجع إن أمكن ذلك).

٢- وانظر إلى أبي الدرداء من الصحابة ينكر زمانه؛ كما في البدع لابن وضاح (٢/١١٩) عن عيسَى بْن يُونُسَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَبَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «لَوْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْكُمُ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْه هُوَ وَأَصْحَابُهُ، إِلاَّ الصَّلاَةَ». قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: فَكَيْفَ لَوْ كَانَ الْيَوْمَ؟ قَالَ عِيسَى: فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ الأَوْزَاعِيُّ هَذَا الزَّمَانَ؟ (وهو مروي أيضا في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/١٦٢) عن أم الدرداء).

٣- وفي كتاب المسلسلات لابن الجوزي (ص: ٤٩) بسنده إلى الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: رحم الله لبيدًا إذ يقول:

ذهب الذين يعاشَ في أكنافهم
وبقيت في قوم كجلد الأجرب

قالت عائشة: رحم الله لبيدًا، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عروة: رحم الله عائشة، لو أدركت زماننا هذا، قال الزهري: رحم الله عروة، كيف لو أدرك زماننا. وهكذا إلى أن ينتهي إلى شيخه في إسناد مسلسل بهذه العبارة (كيف لو أدرك زماننا؟) فسبحان الله! إسناد من ثلاثة عشر رجلاً من أفاضل السلف يتنكرون لزمانهم بخلاف أم المؤمنين فما قولك في هؤلاء؟!

تصدر الغالين وابتداعهم:

وإنه مما ابتليت به الأمة مع ذهاب الصالحين نتيجة لذلك ومواكبة لغيابهم أن خرجت على هذه الأمة فئة من الناس خرجت على الأمة في أفكارها وتصوراتها ومساعيها، ومن العجب أنهم يتنكرون لهؤلاء الصالحين، ولا يعرفون أقدارهم مهما علت، قوم صرفوا همتهم ووجهوا طاقتهم، سبًا وتجريحًا، وتنقيصًا وتسفيهًا لعلماء الأمة ورجالها، ألم يعلموا أن صنيعهم هذا هدم للدين؟! ألم يعلموا أنهم خالفوا بصنيعهم ما كان عليه إجماع علماء أمة الإسلام إذ يقول العلماء: «وعلماء السلف من السابقين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكَرُون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»، ولقد وقفت على ما يزيد على الثلاثين كتابًا من كتب السلف ممن أوردوا هذه العبارة وما في معناها من ذلك (الإمام أحمد في كتاب الورع (ص: ٢٠٤»، (الطحاوي في «عقيدته» (٢/٧٤٠» وما رأينا لذلك مخالفا منهم، فكان إجماعًا منهم على الخير الذي لا تجتمع الأمة على غيره.

ولا يكتفون بمدحهم بل ويحذرون من الوقيعة في أعراضهم، يقول الحافظ ابن عساكر-رحمه الله تعالى- في (تبيين كذب المفتري: ص ٢٨): «واعلم يا أخي- وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة..» أ هـ.

ألا يعلم هؤلاء الطاعنون في علماء الأمة بالباطل أنهم يخدمون مخططات غير المسلمين لتقويض استقرار المجتمعات الإسلامية؟! ألا يعلم هؤلاء أن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأنهم خير معين على تشكيل ضمائر المجتمعات؟! فإذا طعنوا في علمائهم فهل بقي لهذه المجتمعات إلا البلبلة الفكرية والتصارع المجتمعي؟! هل يحبون لأمتهم أن تظل هكذا في جو لا يعين على

العبادة بحال؟!

إن تتبع آثار علماء المسلمين في تقييمهم للرجال ليجد أن المسألة عندهم محسومة لا ضبابية فيها، فوضوحها وضوح منهج مستقيم لا اعوجاج فيه.

قال ابن القيم في (إعلام الموقعين: ٣/٢٨٣) : «ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالحٌ، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، هو فيها معذورٌ بل مأجورٌ لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين». اهـ.

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة «محمد بن نصر المروزي» في (سير النبلاء: ١٤/٤٠): « ولو أنا كُلَّمَا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدَّعْنَاه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة» اهـ..

فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم بغير حق؟، سيبقى قوم يتقمصون دورًا ليس بدورهم ويلبسون قميصًا ليس بقميصهم، فيفتون بغير علم فيحيدون بأنفسهم وعباد الله عن الجادة، ويقيمون الدنيا ويملئون الفضاء ضجيجا وتهويلاً يقطعون به أواصر أرحام علمية ومجتمعات دعوية قد تصل إلى عوام الناس أحيانًا يفعلون ذلك لا لشيء إلا لقلة فقههم بمسائل خلافية على أفضل تقدير لحالهم، أخطأوا فهمها تسرعًا وقد اتسموا بفعلهم هذا بغلو جاوز في موضوعهم الحد الذي نهى عنه الشارع بقوله (إياكم والغلو في الدين..) الحديث.) (الصحيحة١٢٨٣).

إن ذهاب الصالحين وعلمهم يعني غياب العدل وحلول الظلم والبغي، والنفوس الموبوءة بالغلو تترنح بين هذا وذاك. وكلاهما مهلك له ولمن سار خلفه بل هو خطر على المجتمع بأسره.

وبدعة الغلو قد يكون منشأها حظ للنفس؛ إذ طبيعة النفوس حب الرياسة، فتميل إلى التفرّد والتمايز عن عموم الخلائق حتى وإن كان في الديانة والغلو يصحبه غرور، ويلازمه الإعجاب بالرأي ولا شك أن ذلك عقوبة لصاحبه، كما وضّحه ابن الوزير رحمه الله بقوله: «الغالب على أهل البدع شدة العُجب بنفوسهم، وهي من عجائب العقوبات الربانية، وقد كثرت الآثار في أن إعجاب المرء بنفسه من المهلكات، ودليل العقوبة أنك ترى أهل الضلال أشد عُجباً وتهليكاً للناس، واستحقاراً لهم» (إيثار الحق على الخلق ص:٤٢٦ بتصرف».

وهذا الغرور واحتقار الناس يعطي لصاحبه حق الوصاية على الآخرين، وامتحانهم والتنقيب عما في صدورهم؛ كما كان على ذلك الخوارج ومن شابههم وهو انحراف عن الجادة بدأه الخوارج القدامى، وصار عليه خوارج العصر مع التباين في أصولهم فصارت بدعة الغرور والتسلط على الآخرين قاسما مشتركا بينهم.

روى الإمام أبو القاسم اللالكائي في« شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٦٠/٥» عَن ابْن سيرِينَ، قَالَ: «سُؤَالُ الرَّجُل أخَاهُ أمُؤْمِنٌ أنْتَ محْنَةٌ؛ بِدْعَةٌ كَمَا يُمْتَحَنُ الْخَوَارِجُ»

وكون (الامتحان دين الخوارج) مسألة استقرت عند السلف تقريرًا تراها في مصنفاتهم بلفظها وبمعناها، وقد وقفت في ذلك فيما لا يقل عن الستين مصدرًا في الفرق والمذاهب والعقائد والفتاوى والسير، ومن ذلك ما نص عليه الذهبي في ترجمته لإبراهيم بن الحسين بن ديزل) عنه أنه قال: «الامتحان دين الخوارج» (السير للذهبي:١٣/١٨٩).

ومن العجيب أن الغرور لدى الغلاة لا يقف عند حد، فتراهم لا يتورعون من فعل هذا مع أهل العلم مهما علا قدرهم، فقد فعلوه مع ترجمان القرآن ابن عم رسول الله الصحابي عبدالله بن عباس، يقول ابن المبرّد: (وكان نافع بن الأزرق (من الخوارج) يأتي ابن عباس فيساءله حتى أملَّه، وجعل ابن عباس يظهر الضجر» (ينظر: الكامل:٢/١٦٨).

ومن هنا كانت المسؤولية:

فإذا كانت السمة الظاهرة هي غياب الصالحين وابتداع الغالين؛ فإن الأمة تضيع بين هذا وذاك، لذا يتعين على العلماء والدعاة أن يحملوا همَّ هذا الدين علمًا وعملاً ودعوة، وأن يُظهروه على حقيقته للخلق، وإن المتعيَّن هو تقرير الوسطية، وتحقيق لزوم السنة النبوية، وترسيخ العلم الشرعي الذي يدعو إلى أحسن الأخلاق، والوسط بين طرفي الغلو والجفاء، وأنه رحمة للخلق كافة،

والحمد لله رب العالمين.

القسم
الثاني

الحلقة (٤٦)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٤٢١- «يُدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم؛ سترًا من الله عز وجل عليهم».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٧٣/٣٤٣/١) من حديث أنس مرفوعًا، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٤٨/٣)، وقال: «هذا حديث لا يصح، والمتهم به إسحاق»، وهو إسحاق بن إبراهيم الطبري، قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١٣٨/١): «منكر الحديث جدًا يأتي من الثقات الأشياء الموضوعات لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٤٢٢- «إن الله تعالى يُحبُّ المُتبذِّل الذي لا يُبالي ما لبسَ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٢٦/٤) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٢٣- «آجال البهائم كلها من القُمل، والبراغيث، والجراد، والخيل، والبغال، والدواب كلها، والبقر، وغير ذلك آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٢٣/٣٢١/٤) من حديث أنس مرفوعًا، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٢٢/٣)، وقال: «هذا حديث موضوع، والمتهم به الوليد». اهـ. وهو الوليد بن موسى الدمشقي، وقال الحافظ العقيلي: «أحاديثه بواطيل، لا أصول لها». لذلك أخرج هذا الحديث تطبيقًا؛ حيث قال عقبه: «هذا حديث لا أصل له من حديث الأوزاعي، ولا غيره». اهـ. حيث روى هذا الحديث الوليد عن الأوزاعي.

٤٢٤- «لا سَيفَ إلا ذو الفقار، ولا فتًى إلا عليٌّ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٦٠/٥) (١٠٤٥/٤٣٧) من حديث محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال: سمعنا يوم أحد صائح يصيح في السماء وهو يقول... الحديث. وآفته عيسى بن مهران المستعطف، قال ابن عدي: «حدث بأحاديث موضوعة مناكير، محترق في الرفض». اهـ.

٤٢٥- «لتأتينكم بعدي دُنيا تأكلُ إيمانكم كما تأكلُ النارُ الحطبَ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٠٢/٣) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٢٦- «الشيبة نورٌ، مَن خلع الشيبة فقد خلع نور الإسلام، فإذا بلغ الرجل أربعين سنةً، وقاه الله الأدواء الثلاثة: الجنونَ، والجذامَ والبرص».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٢٣/٣٢٢/٤)، وابن حبان في «المجروحين» (٨٢/٣)، وابن عساكر (١/٤٥٦/١٧) من حديث أنس مرفوعًا وقال الحافظ ابن حبان: «وهذا لا أصل له من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآفته الوليد بن موسى الدمشقي، قال العقيلي: أحاديثه بواطيل، لا أصول لها». اهـ.

٤٢٧- «مثلُ المؤمنِ كالبيتِ الخرِب في الظاهر، فإذا دخلته وجدته مؤنقًا، ومثل الفاجر كمثل القبر المشرفِ المُجصَّص يعجبُ من رآه وجوفه ممتلئ نتنًا».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٩٣٩/٣٥٨/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وآفته إبراهيم بن أبي يحيى وهو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٨٩/٥٧/١): سئل عنه الإمام مالك: أكان ثقةً في الحديث؟ قال: «لا، ولا في دينه». اهـ. وقال يحيى بن معين: سمعت القطان يقول: «إبراهيم بن أبي يحيى كذاب». اهـ. وقال الإمام أحمد بن حنبل: «تركوا حديثه،.. معتزلي يروي أحاديث ليس لها أصل».

وروى عباس عن ابن معين: «كذاب رافضي».

وروى عبد الله بن أحمد عن أبيه، قال: "جهمي، كل البلاء فيه، ترك الناس حديثه".

٤٢٨- «مَن شكَّ في إيمانه فقد حَبِطَ عملُه وهو في الآخرةِ من الخاسرينَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٣/٢) من حديث أنس مرفوعًا، وآفته غنيم بن سالم، قال الحافظ ابن حبان: "يروي عن أنس بن مالك العجائب، روى عنه المجاهيل والضعفاء، لا يعجبني الرواية عنه، فكيف الاحتجاج به"؟!

٤٢٩- «لو تمت البقرةُ ثلاثمائة آيةٍ لتكلمت البقرة مع الناسِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٣٨/٢) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٤٢/١)، وقال: «هذا حديث موضوع، لا عفا الله عمن وضعه؛ لأنه قصد عيب الإسلام بهذا، وآفته يعقوب بن الوليد المديني أبو يوسف، قال ابن حبان: «كان ممن يضع الحديث على الثقات لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٤٣٠- «شرار أمتي الذين يأكلون مُخ الحنطة».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (٨٩/٣) بصيغة الجزم مرفوعًا.

وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه

إعداد/ **د. خالد بن علي الغامدي**

إمام المسجد الحرام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فاتقوا الله- عباد الله-، واعلَموا أن التقوَى أساسُ كلِّ خيرٍ ومنبَعُ كل فضيلة، والله تعالى لا ينظرُ إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظُر إلى قلوبكم، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد: ٢٨). فأصلِحوا قلوبَكم بالتقوى تصلُح لكم أعمالُكم.

معاناة البشر من الصراعات:

أيها المسلمون!! تُعاني البشريَّةُ من موجات عنيفة من الصِّراعات الفكريَّة والثقافيَّة، والثَّورات المحمُومة، والحروب النفسيَّة والعسكريَّة، التي نتَج عنها ألوانٌ من الخوف والجوع وسَفك الدماء، ونقص من الأموال والأنفُس والثمَرات.

وتُؤثِّرُ هذه الصِّراعات المُختلفة على كثير من الناس في عقائدهم وتصوُّراتهم وأخلاقهم، مما كان سببًا في اختلالات ظاهرة في الأمن الاجتماعيِّ، الذي أصبحَ تحقيقُه في المُجتمع والحفاظُ عليه يُشكِّل الهاجسَ الأكبرَ في حياة الأفراد والمُجتمعات اليوم، وتسعَى كل الممالك والأمم إلى إرسائه؛ ليعيشَ المُجتمعُ حياةَ الهُدوء والاستقرار والعمل المُنتج البنَّاء، وليأمَنَ الفردُ على نفسه وأسرته ومعيشته.

فضائل الأمن الاجتماعي وأهميته:

إن الأمنَ الاجتماعيَّ غايةٌ من أجلِّ الغايات الشرعيَّة، ومقصَدٌ عظيمٌ من مقاصد الدين، وهو منَّةٌ إلهيَّةٌ كُبرى يضربُ الله به الأمثال، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (النحل: ١١٢).

وهو فريضةٌ ربَّانيَّة، وضرورةٌ من ضُرُورات العُمران البشريِّ والاستخلاف والنُّهوض الحضاريِّ، ولذلك قرَنَ الله بين نعمة العيش ونعمة الأمن، وامتنَّ بهما على عباده، وجعلَهما من أهمِّ أسباب التمكين من عبادة الله، ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (قريش: ٣، ٤).

إن شُعور كل فرد في الأمة بالطمأنينة والسَّكينة في غُدوِّه ورَواحه، وسفَره وإقامته، وتمكُّنه من عبادة ربِّه، وهناءه بالاستقرار النفسيِّ والأسريِّ والمعيشيِّ، فلا خوفٌ ولا فزَع، ولا تفرُّقٌ ولا تناحُرٌ، من أعظم نعم الله وأجلِّ كرائمه، (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) (العنكبوت: ٦٧).

وقد جعلَ النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- الشعورَ بالأمن في المُجتمع أحد مُقوِّمات السعادة والقناعة؛ حيث قال- عليه الصلاة والسلام-: «من أصبحَ منكم آمنًا في سربه، مُعافًى في بدنه، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزَت له الدنيا بحذافيرها» (أخرجه الترمذي وابن ماجه).

وهذا كلُّه- يا عباد الله- أثرٌ من آثار شُيوع الأمن الاجتماعيِّ، فينعكسُ ذلك إيجابًا على الأمة، وتظهرُ بمظهر العزَّة والقوَّة، بسبب تلاحُم أفرادها وترابُطهم، وتعايُشهم فيما بينهم بالحبِّ والمودَّة، والتناصُح والتباذُل، والتعاوُن والسِّتر، والصَّفح والعدل والإنصاف والعفو عن المسيء.

أسس تحقق الأمن الاجتماعي:

إن أمنَ المُجتمع ضرورةٌ حياتيَّةٌ للعيش الهنيء الرَّغيد، والسعادة والسُّلوك الحسَن، والتقدُّم والرُّقيِّ، فلذلك توالت النصوصُ من القرآن والسنَّة في التأكيد على الأمن الاجتماعيِّ والحرص عليه؛ لينعمَ المُجتمعُ بأسره بالهُدوء والاستقرار، ويتمكَّنُ من إقامة شرع الله، وتسخير الأرض وعُمرانها في تحقيق الخير والصلاح.

ولن يحصُل لهم ذلك- يا عباد الله- إلا بالتعاوُن على البرِّ والتقوى، والحذَر من التعاوُن على الإثم والعُدوان، وهو أساسٌ عظيمٌ من أسس بناء الأمنَ الاجتماعيِّ، (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢).

إن من أجل ما يُبنى عليه أمنُ المُجتمع: أن يقوم على قاعدة راسخة ثابتة من الأخوَّة الإيمانيَّة، التي تُؤسِّسُ العلاقات بينَ أفراد المُجتمع تأسيسًا قويًّا ثابتًا.

فتشيعُ بينهم أواصرُ المحبَّة والإيثار والتناصُر والتعاوُن، وحبِّ الخير بعضهم لبعض، وتنتشرُ بينهم صُورُ الإحسان والبرِّ للوالدَينَ والأرحام والجيران، والتكافل الاجتماعيِّ، ورعاية الأيتام والأرامل والمساكين، والسعي في تفريج كُربات وحوائج الناس، وقضاء دُيونهم، وإنظار مُعسرهم، والسِّتر على مُخطئهم، وغير ذلك من صُور الإحسان والأخوَّة الإيمانية، التي هي من أعظم مُقوِّمات المُجتمع الآمن.

كما قال- سبحانه-: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: ١٠)، وقال- سبحانه-: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبة: ٧١).

وقال- عليه الصلاة والسلام-: «أفضلُ المُسلمين إسلامًا: من سلم المُسلمون من لسانه ويده» (أخرجه الطبراني بسند حسن).

وقال- عليه الصلاة والسلام-: «المؤمنُ من أمنَه الناسُ على دمائهم وأموالهم» (أخرجه أحمد والترمذي).

وقال- عليه الصلاة والسلام-: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله سُرورٌ تُدخلُه على مُسلم، أو تكشفُ عنه كُربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تَطرُدُ عنه جُوعًا» (أخرجه الطبراني بسند حسن).

إن الأُخوَّة الإيمانيَّة الصادقة من أهم أُسس فشُوِّ الأمن الاجتماعيِّ، فيشعُرُ كلُّ مُسلم أنه في مُجتمع أفرادُه بررَةٌ رُحماء، مُتعاطفون مُتَحابُّون، هيِّنونَ ليِّنون، مُشفقون مُتباذلُون، يُكرمون المُحسن ويُعينونَه، ويستُرون على المُخطئ ويرحَمونَه، ولا يُقابلونَه بالتشهير والتعنيف والإقصاء، ولا يُعينُون عليه الشيطان، فهو ما زالَ أخًا لهم.

فينشأ من ذلك كله مُجتمعٌ آمنٌ، مُستقرٌّ مُتماسكٌ قويٌّ، كما قال النبيُّ- صلى الله عليه وآله وسلم- في وصف هذا المُجتمع الآمن: «مثَلُ المُؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم كمثَل الجسَد» (أخرجه أحمد ومسلم).

صورةٌ مُشرقةٌ من محاسن الإسلام:

وهذا الشُّعور- يا عباد الله- بالاستقرار والأمن والمُعاملة الحسَنَة لا يختصُّ بالمُسلمين فقط؛ بل هو حقٌّ مكفولٌ لكلِّ من يعيش بينهم من أهل الأديان الأُخرى؛ كاليهود والنصارى، والمُعاهَدين والمُستأمَنين. فقد ضمن لهم الإسلامُ الأمنَ والعيشَ والاستقرارَ، وأن يُعامَلوا بالعدل والإنصاف

والرحمة والإحسان، كما قال- سبحانه-: (لَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ) (الممتحنة: ٨).

وقد كان لابن عُمر- رضي الله عنهما- جارٌ يهوديٌّ، فكان أولَ ما يبدأ بالإطعام والهدايا يبدأ به، وكان يُوصي به دائمًا.

وهذه صورةٌ مُشرقَةٌ ناصعةٌ من محاسن الإسلام، وحرصه على شُيُوع الأمن الاجتماعيِّ لكل أفراده ولمن يعيش تحت كنَفه. فأين من يتَّهمُ الإسلام بالإرهاب، ويُحاولُ وصمَ أهله بذلك زُورًا وبُهتانًا؟!

إن أمنَ المُجتمع لن يتحقَّق ويسُود بين جميع شرائحه إلا إذا كانت شريعةُ الله هي الحاكمة والمُهيمنة، وكان لها من قُوَّة السُّلطان والدولة ما يجعلُ لها الثَّباتَ والشُّمولَ والهيبة، فتطمئنُّ النفوسُ وتهدأ الخواطرُ، ويشعرُ كل فرد أنه آمنٌ على دينه ونفسه وأهله، فيعيشُ بحريَّة وكرامة وعزَّة.

ولذلك جاءت الشريعةُ بحفظ مكانة وهيبة الحاكم والأمير المُسلم، وأمرَت بطاعته في المعروف وإجلاله وإكرامه، وحرَّمَت عصيانَه والخروجَ عليه، وإظهار عيبه والتشهير بأخطائه تشغيبًا وتأليبًا عليه، ورغبةً في زعزعة أمن المُجتمع، وفشوَّ الفوضى والاضطراب، وانفراط قاعدة من أهمِّ قواعد بناء الأمن الاجتماعيِّ.

إن المُجتمعَ الآمن هو الذي يقومُ على طاعة الله وطاعة رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأولي الأمر، ومن أطاعَ الأميرَ فقد أطاعَ الرسولَ- صلى الله عليه وآله وسلم-، ومن أطاعَ الرسول فقد أطاعَ الله، وإن الله ليَزَعُ بالسلطان ما لا يزَعُ بالقرآن.

والشريعةُ تحُثُّ وتأمرُ أن تنشَأ المحبَّةُ والوئامُ والثقةُ بين الرَّاعي والرعيَّة، والحاكمِ والمحكوم، فتعيشُ الأمةُ في أمنٍ وارفٍ، وظلٍّ ظليلٍ من الاستقرار والتمكين والثَّبات.

دور الأفراد في أمن المجتمعات:

أيها المسلمون!! أمرٌ آخرُ في غاية الأهمية، له أثرُه البالغُ في أمنِ المُجتمع، وهو أن يعلَمَ الواحدُ منَّا أنه لا يعيشُ لوحده في المُجتمع، ولا يحيَا لذاته أو لتحقيق مصالحه الشخصيَّة فقط؛ لأن المُسلمَ الواعيَ الصادقَ يشعُرُ بصدقٍ أنه مسؤولٌ عن نفسه وأهله ومُجتمَعه وأمَّته ووطنه، مسؤولٌ عن الأمن والاستقرار، مسؤولٌ عن كل ما يحفظُ للأمة عقيدتَها وعزَّها ومكانتَها، خاصَّةً في ظلِّ الهجَمات المُتوالية، والحمَلات الإعلاميَّة المحمُومة من أعداء الأمة، التي تُهاجمُ عقيدةَ الأمة وثوابتَها، وتُشوِّهُ صورةَ القائمينَ عليها في بلاد الحرمَين وغيرها من بلاد المُسلمين.

إن إحساسَ كل فرد في الأمة أنه مسؤولٌ مسؤوليَّةً مُباشرةً عن الحفاظ على عقيدته وكيان أمَّته ووطنه، يجعلُه عُنصرًا إيجابيًّا نافعًا ومُفيدًا لنفسه ولمجتمعه، ومُدركًا للأخطار والمكائد المُحدقة بدينه ووطنه وأمَّته.

ويرتَقي بوعيه، فلا يَغشُّ أمَّته ولا يخونُها، ولا يكونُ عينًا وظَهيرًا لأعدائها، وتكأةً للمُفسدين والحاقدين؛ بل يكون مُساهمًا مُساهمةً فاعلةً في الحفاظ على أمن المُجتمع، ليرُدَّ عُدوانَ كل مُعتدٍ وكائدٍ في الداخل والخارج.

إن الشُّعورَ بالمسؤوليَّة الفرديَّة والجماعيَّة من أهم أُسس بناء مُجتمعٍ آمنٍ مُستقرٍّ واعٍ مُتماسك، وسوف يُسألُ الناسُ جَميعًا عن نعمة الأمن: هل شكَروها وحافظُوا عليها أم لا؟ (ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ) (التكاثر: ٨). قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وقتادةُ: "هو الأمنُ والصحَّةُ".

وثبتَ في "الصحيحين": عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها وهي مسؤولةٌ عن رعيَّتها، والخادمُ راعٍ في مال سيِّده وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في مال أبيه وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته».

إن من كمال الشريعة: أنها تتشوَّفُ دائمًا إلى تحقيق الأمنِ واستقرار المُجتمع؛ لما في ذلك من المصالح الكُبرى والمنافع العُظمى في الدين

والدنيا، ولذلك حرَّمَت الشريعةُ جُملةً من الأعمال المنافية لهذه المصالح والمُناقضة لأمن المُجتمع واستقراره؛ كالظُلم والبغي والخيانة، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وأكل أموال الناس بالباطل بالرِّبا والرِّشوَة، والسرقة والاحتيال.

كما حرَّمَت الشريعةُ قتلَ النفس بغير حقٍّ، وشُربَ الخمر، والزِّنا، والتبرُّج والسُّفور، والاعتداء على الناس باللسان والقول من الغيبة والنَّميمة والسُّخرية والاستهزاء، والتنابُز بالألقاب، وشهادة الزُّور، والتجسُّس، وتتبُّع العورات، والظُّنون الكاذبة، وغير ذلك مما يُشيعُ الفاحشةَ في المُجتمع، ويُسبِّبُ شرخًا مُهلكًا في بناء المُجتمع الآمن ووحدته وتماسُكه.

وجوب وقاية الأمة من فتنة الشُّبهات والأفكار الضالَّة:

ومن أعظم ما حرصَت عليه الشريعةُ لبناء المُجتمع الآمن: الحصانةُ والصيانةُ الفكريَّةُ للأمة من فتنة الشُّبهات والأفكار الضالَّة، وأفكار التطرُّف والغُلوِّ التي تُسبِّبُ العنفَ والقسوةَ والجنوحَ في التعامُل مع المُجتمع.

وهذا من أخطر ما تواجهُه المُجتمعات الآمنة، فتُحيلُها إلى مُجتمعات ثوريَّة فوضويَّة مُتمزِّقة مُتناحرة مُتقاتلة، مما يُشكِّلُ أعظمَ مُناقضة لمقصد الشريعة العظيم؛ أن تكون الأمةُ جسدًا واحدًا قويًّا مُتماسكًا.

إن من أهم وسائل الشريعة في حفظ الأمن الاجتماعيِّ وبنائه: نظامَ العُقوبات وإقامة الحُدود والتعزيرات، وتمكين القضاء العادل، وتقوية الحرَس والجيُوش والشُّرَط، والعناية بذلك، والعمل بالإجراءات التي تردَعُ الظالمَ والمُعتدي، وتأخُذ الحقَّ للمظلوم والضَّعيف، فيعيش المُجتمع آمنًا مُستقرًّا، مكفولةً حقوقُه، مُحاطًا بسياج العدلِ والرحمة والإحسان.

هذا وإن من أفخَم أُسس بناء مُجتمع آمن: أن يتعاونَ الجميعُ على بناء اقتصاد قويٍّ مُتنوِّع مُزدهر، يُشارِك في بنائه كلُّ من له قُدرةٌ وطاقةٌ ومعرفةٌ لتحقيق القوَّة الاقتصاديَّة والرُّقيِّ الحضاريِّ، لتكون الأمةُ آمنةً مُطمئنَّةً يأتيها رزقُها رغدًا من كل مكانٍ، ولتكون مُهابةً مرهوبةَ الجناب بين الأمم.

إن صناعةَ الأمن الاجتماعيِّ من الضَّرورات التي لا تقبلُ المُساومَة والمُراجعَة، وهي ليست مسؤوليَّةَ جهة دون جهة، ولا فرد دون فرد؛ بل هي مسؤوليَّةُ الجميع؛ لتتضافَرَ جهودُ الأفراد والمؤسَّسات، والعلماء والمُصلحين، وذوي الرأي والمكانة، والمُثقَّفين والإعلاميِّين، وأصحاب الأقلام في الصحافة وشبكات التواصُل الاجتماعيِّ، خاصَّةً في ظلِّ التحديَّات الداخلية والخارجية التي تمرُّ بها الأمة.

لا بُدَّ أن يعرفَ المُسلمون صديقَهم من عدوِّهم، وتتكاتَفَ جهودُهم للحفاظ على أمن المُجتمع في جميع بلاد المُسلمين، وبالأخصِّ هنا في بلاد الحرمين، أرض النبُوَّة والوحي، والأمن والأمان.

أهمية الحفاظ على أمن بلاد الحرمين:

إن الحفاظَ على أمن بلاد الحرمَين فريضةٌ واجبةٌ على كل مُسلم ومُسلمة؛ فقد جعلَها الله قيامًا للناس، وأمنًا للعالمين، ومهوَى أفئدة المُسلمين، والحفاظُ عليها وعلى أمنها تحقيقٌ لدعوة إبراهيم الخليل- عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والتسليم-؛ حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ (إبراهيم: ٣٥).

فلا يجوزُ بأي حال من الأحوال- يا عباد الله- إثارةُ الفوضى، والتفرُّقُ والخُصومات، أو الفتُّ في عضُد وُلاة الأمر القائمين على أمنها بكل ما يستطيعُون، ولا يجوزُ الطَّعنُ في عقيدتها ومناهجها التي مصدرُها الكتاب والسنَّة، أو تشويه صُورتها بالأكاذيب والتُّهم الباطلة والدعاوَى المُضلَّة.

لأن قيامَ الأمن- يا عباد الله- في بلاد الحرمين هو في الحقيقة أمنٌ للأمة كلِّها، واستقرارٌ وثباتٌ لمُجتمعات المُسلمين، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٩٧)، وقال- سبحانه-: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ (البقرة: ١٢٥)، وقال- سبحانه-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ (آل عمران: ٩٦، ٩٧).

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عما يصفون، وسلامٌ على المُرسَلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك على نبيِّنا محمدٍ، وآله وصحبِه أجمعين.

التعصب وأثره السيئ في ماضي الأمة وحاضرها

الحمد لله الذي علم بالقَلَم، والصلاة والسلام على نبينا محمد المفرد العَلَم، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظُّلَم، وبعدُ:

فقد كَانَتْ العربُ في جاهليتها قبل شروق شمس الإسلام على الخافقين عَلَى إرث من إرث آبائهم في جاهلية جهلاء، وعصبية عمياء، وفتنة صلعاء، يَهِيمُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي الْفِتَنِ حَيَارَى، وَيَخُوضُونَ فِي الأَهْوَاءِ وَالظُّلُمَاتِ سُكَارَى، يَتَرَدَّدُونَ فِي بِحَارِ الضَّلالَةِ، وَيَجُولُونَ فِي أَوْدِيَةِ الْجَهَالَةِ. شَرِيفُهُمْ مَغْرُورٌ، وَوَضِيعُهُمْ مَقْهُورٌ، وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ، لا يَعْبَؤُونَ بِصَوَابٍ وَلاَ خَطَأ، وَلاَ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، إِنَّمَا هُوَ مَا يُمْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَبَائِلِهِمْ بُكْرَةً وَأَصِيلاً فَحَسْبُ، بل كان شعارهم انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا وَهَذَا لائح لا خفاءَ بِهِ عَلَى ذِي عَقْلٍ أَوْ نُهيَةٍ.

الحلقة الأولى

إعداد/ **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

قال ابنِ حجر: «ذَكَرَ الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ فِي كتَابه الْفَاخرِ أَنَّ أَوَّل مَنْ قَالَ: انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلومًا جُنْدُبُ بْنُ الْعَنْبَر بْن عَمْرو بْن تَميم، وَأَرَادَ بذلك ظَاهِرَهُ وَهُوَ مَا اعْتَادُوهُ مِنْ حَمِيَّةِ الْجاهليَّةِ لا عَلَى مَا فَسَّرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَفِي ذَلك يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

إِذَا أَنَا لَمْ أَنْصُرْ أَخِي وَهْوَ ظَالِمٌ
عَلَى الْقَوْمِ لَمْ أَنْصُرْ أَخِي حِينَ يظلم»

(فتح الباري: ٥/٩٨ (٢٤٤٤)).

وهكذا تغالت العرب في نزاعها، وتمادت في عصبيتها المؤدية إلى ضياعها.

وَحَسْبُكَ مِنْ قَوْمٍ أُولي بَأْس شَديد جَاسُوا خلاَلَ الدِّيَار مِنْ أَجْلِ الْعَصَبيَّةِ لا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ لعرْضٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حَتَّى لنَاقَةٍ أَوْ بَعير.

وَلَيْسَتْ حَرْبُ دَاحس وَغَبْرَاءَ- الَّتي أَهْلَكَتْ منَ الْعَرَب أَنَاسيَّ كَثيرًا- عَنَّا ببَعيدٍ، نَعُوذُ بِاللَّه مِنْ سُوء الْمُنْقَلَب.

وَكَذَا مَا كَانَ بَيْنَ الأَوْس وَالْخَزْرَج منْ حُرُوب دَامَتْ أَمَدًا بَعيدًا أُزْهقَتْ فيهَا أَنْفُس وَرَاحَتْ فيهَا أَرْوَاحٌ وَسَقَطَتْ لأَجْلهَا جُثَثٌ وَهَامٌ بسَبَب عَصَبيَّةٍ هيَ أَقْرَبُ إِلَى الأَوْهَام منْهَا إِلَى الْحَقَائق فَقُتلَ فيهَا كَثيرُونَ وَقَدْ بَيَّنَ ذَلكَ الْعُلَمَاءُ.

قَالَ الْخَطَّابيُّ: «يَوْمُ بُعَاث يَوْمٌ مَشْهُورٌ منْ أَيَّام الْعَرَب كَانَتْ فيه مَقْتَلَةٌ عَظيمَةٌ للأَوْس عَلَى الْخَزْرَج وَبَقيَت الْحَرْبُ قَائمَةً مائَةً وَعشْرينَ سنة إِلَى الإِسْلاَم على مَا ذكر بن إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ» (فتح الباري: ٢/٥١١. وليس المراد بهذه المدة الطويلة في كلام الخطابي حرب بعاث فقط، بل المراد مدة الحروب بين الحيين والله أعلم إذ إن حرب بعاث كانت قبل الهجرة ببضع سنوات كما قرره ابن حجر في فتح الباري: ٢/٥١٢ والله أعلم).

وَقَالَ ابْنُ حَجَر: «نَعَمْ دَامَت الْحَرْبُ بَيْنَ الْحَيَّيْن الأَوْس وَالْخَزْرَج الْمُدَّةَ الَّتي ذَكَرَهَا في أَيَّام كَثيرَة شَهيرَة. وَكَانَ أَولُهَا فيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهشَامُ بْنُ الْكَلْبيِّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ الأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ لَمَّا نَزَلُوا الْمَدينَةَ وَجَدُوا الْيَهُودَ مُسْتَوْطنينَ بهَا فَحَالَفُوهُمْ وَكَانُوا تَحتَ قَهْرِهِمْ ثُمَّ غَلَبُوا عَلَى الْيَهُود في قصَّة

طَوِيلَة بِمُسَاعَدَة أَبِي جَبَلَةَ مَلك غَسَّان.

فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى اتِّفَاقٍ بَيْنَهُمْ حَتَّى كَانَتْ أَوَّلَ حَرْب وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبُ سُمَيْر (بِالْمُهْمَلَة مُصَغَّرًا) بِسَبَبَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: كَعْبٌ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ نَزَلَ عَلَى مَالكَ بْنِ عَجْلَانَ الْخَزْرَجِيِّ فَحَالَفَهُ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَوْسِ يُقَالُ لَهُ سُمَيْرٌ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْحَرْب بَيْنَ الْحَيَّيْنِ.

ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَائِعُ مِنْ أَشْهَرِهَا يَوْمُ السَّرَارَة- بِمُهْمَلَاتَ- وَيَوْمُ فَارِع- بِفَاء وَمُهْمَلَة- وَيَوْمُ الْفِجَار الأَوَّل وَالثَّانِي وَحَرْبُ حُصَيْنِ بْنِ الأَسْلَت وَحَرْبُ حَاطِبِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرَ ذَلِكَ يَوْمُ بُعَاث.

وَكَانَ رَئِيسَ الأَوْسِ فِيهِ حُضَيْرٌ وَالِدَ أُسَيْد وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: « حُضَيْرُ الْكَتَائِب » وَجُرِحَ يَوْمَئِذ ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ جِرَاحَتِه.

وَكَانَ رَئِيسُ الْخَزْرَج عَمْرو بْنَ النُّعْمَانِ وَجَاءَهُ سَهْمٌ فِي الْقِتَالِ فَصَرَعَهُ فَهُزِمُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَدِ اسْتَظْهَرُوا.

وَلِحَسَّانَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَزْرَجِ وَكَذَا لِقَيْسِ بْنِ الْحَطِيْم وَغَيْرِه مِنَ الأَوْسِ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي دَوَاوِينِهِمْ. (فتح الباري: ٥١٢/٢ (٩٤٩)).

وَفِي الْجُمْلَة فَقَدْ عَمِلَتْ الْعَصَبِيَّةُ آنَذَاكَ فِي النُّفُوس عَمَلَ حُمَيَّا الْكُؤُوس (وَهِيَ الْخَمْرُ) حَتَّى سَقَطَتْ فِي سَبِيلِهَا جَمَاجِمُ وَطَارَتْ مِنْ أَجْلِهَا رُؤُوسٌ فَلِلَّه الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

أَزْهَى عُصُورِ الإِسْلَام:

فَلَمَّا جَاءَ اللَّه بِالإِسْلَام بَعَثَ إِلَى خَلْقِه رَسُولاً وَجَعَلَهُ إِلَى سَبِيلِه هَادِيًا وَعَلَيْه دَلِيلاً فَبَلَّغَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْهُ رِسَالَاتِه، وَبَيَّنَ الْمُرَادَ مِنْ آيَاتِه.

فَتَجَلَّتْ أَعْلَامُ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّة بَعْدَ انْقِطَاعِهَا، وَعَلَتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ بَعْدَ انْخِفَاضِهَا وَانْخَفَضَتْ كَلِمَةُ الْبَاطِل بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا، وَذَهَبَتْ أَعْلَامُ الشِّرْك وَأَضَاءَتْ حُجَجُ التَّوْحِيد وَتَلَأْلَأَتْ أَنْوَارُهُ بَعْدَ انْطِفَائِهَا، وَعَادَتِ الْمِلَّة مِنْ ضِيقِهَا إِلَى اتِّسَاعِهَا، فَانْقَادَتْ لَهُ الأُمَّة بَعْدَ امْتِنَاعِهَا، وَرَجَعَتْ مِنْ قُبْحِ افْتِرَاقِهَا إِلَى حُسْنِ اجْتِمَاعِهَا، فَهَجَرُوا الْعَصَبِيَّةَ وَلَمْ يُعَاوِدُوهَا بَعْدَ وَدَاعِهَا، وَانْكَسَرَتْ جُمُوعُ الْفُرْقَة وَانْمَحَتْ حُصُونُ قِلَاعِهَا، وَذَكَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّه عَلَيْهِمْ مِنْ شَرْحِ صُدُورِهِمْ لِآيَاتِ التَّنْزِيل فَارْتَاحُوا لِسَمَاعِهَا وَانْقَادُوا لِاتِّبَاعِهَا، وَأَصْبَحُوا بِهَذِه النِّعْمَة إِخْوَانًا بَعْدَ مَا كَانُوا أَعْدَاءَ لَا تَأْمَنُ الأُمَّة مِنْ ضَيَاعِهَا، وَكَانُوا عَلَى شَفَا حُفْرَة مِنَ النَّار فَأَنْقَذَهُمْ مِنْهَا بَعْدَ قُرْبِ سُقُوطِهَا فِي الدَّرْك وَوُقُوعِهَا.

وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِشَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ جَعَلَ اللَّه تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهَا، كَمَا جَعَلَ فِيهَا تَمَامَ السَّلَامَة، وَجِمَاعَ الْكَرَامَة، لَا تُطْفَأُ سُرُجُهَا، وَلَا تُدْحَضُ حُجَجُهَا، مَنْ لَزِمَهَا عُصِمَ، وَمَنْ خَالَفَهَا نَدِمَ ؛ إِذْ هِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ، وَالرُّكْنُ الرَّكِينُ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ، وَمَتُنَ حَبْلُهُ. فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا سَادَ، وَمَنْ رَامَ خِلَافَهَا حَادَ عَنِ الْجَادَّة وَبَادَ، وَالْمُتَعَلِّقُونَ بِهَا هُمْ أَهْلُ السَّعَادَة فِي الآجِل وَالْمَغْبُوطُونَ بَيْنَ الأَنَامِ فِي الْعَاجِل.

وما أجمل ما افتتح الخطيب البغدادي به كتابه « الكفاية في قوانين الرواية » (٤٧/١) حين قال بعد خطبة الكتاب: «أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى أنقذ الخلق من ثائرة الجهل، وَخَلَّصَ الْوَرَى مِنْ زَخَارِف الضلالة بالكتاب الناطق، والوحي الصادق، المنزلَيْن على سيد الوَرَى نبيِّنا محمد المُصْطفَى» اهـ.

لَقَدِ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْعَرَب لِهَذَا الْوَحْيِ النَّقِيِّ، وفُتِحَ مَا اسْتُغْلِقَ مِنْهَا، وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّه أَفْوَاجًا، وَكُسِرَتِ الأَصْنَامُ، وَدُحِضَتِ الأَزْلَامُ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِه، وَأَبْدَى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِه، وَانْحَطَّتْ أَعْلَامُ الشِّقَاقِ، وَانْهَشَمَتْ بَيْضَةُ النِّفَاقِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

فَخَلَعُوا الْعَصَبِيَّةَ كَمَا يَخْلَعُ الرجل ثوبه فلم يبق فيهم منها عينٌ ولا أثرٌ، وكان ذلك من أثر نور كتاب الله العزيز وبركة السنة المشرفة اللذين هما وعاء الشريعة الغراء ومِلَاكُهَا.

ولا عجب فهما النور البهي، والأمر الجلي، والحجة الواضحة، والمحجة اللائحة، من تمسك بهما اهتدى ومن حاد عنهما ضل وغوى.

وَقَدْ شَغَلَ القوم- بَعْدَ الْمُغَاوَرَات وَالتِّجَارَات وَتَطَلُّب الأَرْبَاح وَالْكَدْح لِلْمَعَاش فِي رِحْلَة الشِّتَاء وَالصَّيْف، وَبَعْدَ الْغَرَام بِالصَّيْد وَالْمُعَاقَرَة وَالْمُيَاسَرَة- بِتِلَاوَة الْكِتَاب الْعَزِيز- الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلَا مِنْ خَلْفِه تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد- وَبِالتَّفَقُّه فِي دِينِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَحِفْظ سُنَنِ رَسُولِ اللَّه-صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ- مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي مُجَاهَدَة أَعْدَاءِ الإِسْلَام.

فصار الَّذي نشأ عَلَيْه آباؤهم ونشأوا عَلَيْه كَأَن لَمْ يكن وحتَى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوِّن وحُفِظ حتَّى الآن.... فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوقيفه، عمّا ألفوه ونشأوا عَلَيْه وغذوا به، إلى مثل هذا الَّذي ذكرناه. وكلّ ذلك دليل عَلَى حقّ الإيمان وصحة نُبوة نبيّنا محمد- صلى

الله عليه وسلم - (الصاحبي لابن فارس: ص ٤٤-٤٥).

وهكذا شرح الله صُدُور العرب وكذا الناس من بعدهم للإسْلَام فانقادت لاتباعه وارتاحت لسماعه وأماتت في نفوسهم بعد أن تمادت في نزاعه وتغالت في امتناعه بل تحولت أخلاقهم إلى أخلاق منيعة المَنال بديعة المِثال فسبحان من يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير.

التزام السلف بترك العصبية

وقد عمل السلف بهذه السنن القويمة، وبات أمر عصبية الجاهلية نَسْيًا مَنْسيًّا، حَتَّى أَصْبَحَ المَوالي سَادَةً بنَافع العلْم وصَالح العَمَل منْ أمْثَالِ عكْرمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاس وَكَذَا كُرَيْبٌ وَعَطاءُ بنُ أَبي رَبَاح وَنَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ وَغَيْرُهُمْ، وَإِلَيْكَ مَوَاقِفَ تُفْصِحُ عَنْ ذلكَ.

قَالَ ابْنُ أَبي الزِّنَاد: كَانَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ يَكْرَهُوْنَ اتِّخَاذَ أُمَّهَاتِ الأَوْلَاد، حَتَّى نَشَأَ فِيْهِم الغُرُّ السَّادَةُ: عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ، وَالقَاسِمُ بنُ مُحَمَّد، وَسَالِمُ بنُ عَبْدِ الله، فَفَاقُوا أَهْلَ المَدِيْنَةِ علْماً وَتُقَىً وَعبَادَةً وَوَرَعاً، فَرَغِبَ النَّاسُ حِيْنَئِذٍ في السَّرَارِي السير: ٤/ ٤٦٠.

وعَنْ أَبي العَالِيَة، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاس يَرْفَعُني عَلَى السَّرِيْر، وَقُرَيْشٌ أَسْفَلَ منَ السَّرِيْر، فَتَغَامَزَتْ بي قُرَيْشٌ، فقال ابْنُ عَبَّاس: هَكَذَا العلْمُ يَزِيْدُ الشَّرِيْفَ شَرَفاً، وَيُجْلسُ المَمْلُوْكَ عَلَى الأَسرَّة.

قُلْتُ: هَذا كَانَ سَرِيْرَ دَار الإمْرَة، لمَّا كَانَ ابْنُ عَبَّاس مُتَوَلِّيَهَا لعَلِيٍّ-رَضيَ الله عَنْهُمَا-. (الجرح: ٣/ ٥١٠، والسير: ٤/ ٢٠٨).

وعن الوَليْد المُوَقَّرِي عَنِ الزُّهْرِيِّ قال: قَالَ لي عَبْدُ الملك بنِ مَرْوَان: منْ أَيْنَ قَدمْتَ؟ قُلْتُ: منْ مَكَّةَ، قَالَ: فَمَنْ خَلَّفْتَ يَسُوْدُهَا؟ قُلْتُ: عَطاءٌ، قَالَ: أَمنَ العَرَب أَمْ منَ المَوَالي؟ قُلْتُ: منَ المَوالي، قَالَ: فيْمَ سَادَهُم؟ قُلْتُ: بالدِّيَانَة وَالرِّوَايَة.

قَالَ: إنَّ أَهْلَ الدِّيَانَة وَالرِّوَايَة يَنْبَغي أَنْ يُسَوَّدُوا، فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ اليَمَن؟ قُلْتُ: طَاوُوْسٌ، قَالَ: فَمن العَرَب، أو المَوالي؟ قُلْتُ: منَ المَوالي.

قَالَ: فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ الشَّام؟ قُلْتُ: مَكْحُوْلٌ، قَالَ: فَمنَ العَرَب، أَمْ منَ المَوالي؟ قُلْتُ: منَ المَوالي، عَبْدٌ نُوْبيٌّ أَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ منْ هُذَيْل.

قَالَ: فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ الجَزِيْرَة؟ قُلْتُ: مَيْمُوْنُ بنُ مهْرَانَ، وَهُوَ منَ المَوالي.

قَالَ: فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ خُرَاسَانَ؟ قُلْتُ: الضَّحَّاكُ بنُ مُزَاحم منَ المَوالي.

قَالَ: فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ البَصْرَة؟ قُلْتُ: الحَسَنُ منَ المَوالي.

قَالَ: فَمَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ الكُوْفَة؟ قُلْتُ: إبْرَاهيْمُ النَّخَعيُّ، قَالَ: فَمنَ العَرَب، أَمْ منَ المَوالي؟ قُلْتُ: منَ العَرَب، قَالَ: وَيْلَكَ! فَرَّجْتَ عَنِّي، وَالله لَيَسُوْدَنَّ المَوالي عَلَى العَرَب في هَذا البَلَد حَتَّى يَخْطُبَ لَهَا عَلَى المَنَابر، وَالعَرَبُ تَحْتَهَا.

قُلْتُ: يَا أَميْرَ المُؤْمنيْنَ، إنَّمَا هُوَ ديْنٌ، مَنْ حَفظَهُ، سَادَ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ، سَقَطَ. (السير: ٥/ ٨٥- ٨٦ وقال الذهبي: الحكَايَةُ مُنْكَرَةٌ، وَالوَليْدُ بنُ مُحَمَّد: وَاه، فَلَعَلَّهَا تَمَّتْ للزُّهْريِّ مَعَ أَحَد أَوْلَاد عَبْد الملك، وَأَيْضاً فَفيْهَا: مَنْ يَسُوْدُ أَهْلَ مصْرَ؟ قُلْتُ: يَزِيْدُ بنُ أَبي حَبيْب، وَهُوَ منَ المَوالي.

فَيَزِيْدُ: كَانَ ذَاكَ الوَقْتَ شَابّاً لا يُعْرَفُ بَعْدُ، وَالضَّحَّاكُ، فَلاَ يَدْري الزُّهْريُّ مَنْ هُوَ في العَالَم، وَكَذَا مَكْحُوْلٌ يَصْغُرُ عَنْ ذَاكَ اهـ).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ حَوَّلَهُمْ الإسْلَامُ منَ الْحَضيض إلى الدَّرَجَات العُلَى، ونَقَلَهُمْ منَ الدَّرْك الأَسْفَل إلَى ذُرَى المَعَالي، وأَوْرَثَهُمْ مَحَاسنَ الشِّيَم، وَبَلَّغَهُمْ عَاليَةَ القيَم، ورَفَعَهُمْ إلَى قمَّة القمَم، ومَكَّنَهُمْ منْ سيَاسَة الأُمَم، بَعْدَ أَنْ كَانُوا رُعَاةَ غَنَم وَجَعَلَهُمْ أَئمَّةً للْمُتَّقيْنَ بَعْدَمَا ظَلُّوا حينًا منَ الدَّهْر عَلَى النَّاس عَالَةً، ودُعَاةَ جَهَالَة؟!

فسبحانَ من يحيي مَوَاتَ القُلُوب كَمَا يُحْيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا.

ثُمَّ غَزَا الإسْلَامُ بلَادَ الْعَجَم ؛ فَفَتَحَ الله قُلُوبَهُمْ للْإسْلَام، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لَهُ، وَصَارَ منْهُمْ أَئمَّةٌ في الْعلْم وَالْعَمَل، وظَلَّتْ الأُمَّةُ في وَارف ظلَال الْعَافيَة منَ الْعَصَبيَّة حينًا منَ الدَّهْر.

قَال الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة: «إن أزهر عصور الإسلام هو عصر اللامذهبية، عصر الصحابة والتابعين إذ كانت هداية الناس وبصيرتهم مقتبسة من الكتاب والسنة، وإذ لم يكن هناك فيهم من يقول: «الأصل كلام أصحابنا، فإن كان هناك ما يعارضه من القرآن تأولناه، وإن كان هناك حديث معارض رددناه كرد حديث أنس في رضِّ رأس اليهودي الذي رض رأس الأنصارية لأجل نقل عن أبي حنيفة (ولو ضربه بأبي قبيس)»، كانت خير عصور المسلمين عصر

الصحابة والتابعين، حيث لا مذاهب تُرَدُّ لأجلها نصوص الكتاب والسنة» (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للعلامة المعلمي اليماني: ١٣٢/١).

الأئمة الأربعة على اختلاف مذاهبهم يرفضون التعصب

إنْصَافُ الأَئِمةِ الأَرْبعَةِ، وَتَعْوِيلِهِمْ عَلَى الدَّلِيلِ عَامَّةً، وَالسُّنَّةِ خَاصَّةً:

ثُمَّ ظَهَرَتْ المَذَاهِبُ الفِقْهِيَّةُ واشْتَهَرَ مِنْهَا الأَرْبَعَةُ المَعْرُوفَةُ (الأحنَاف والمَالكية والشافعية والحنابلة) وَحُفِظَ عَنْ كُلِّ إمَام مِنَ الأَرْبَعَةِ حِرْصُهُ عَلَى اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ وَاقْتِفَاءِ الأَثَارِ وَوَصِيَّتَه بـه حَتَّى جَرَتْ كَلِمَاتُهُمْ فِي ذَلِكَ مَجْرَى الأَمْثَالِ كَقَوْلِ أبي حنيفة: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» (الانتقاء لابن عبدالبر: ص ١٤٥).

وقَالَ الشَافِعِيُّ - وَحَسْبُكَ به دينًا وَفَضْلاً وَعِلْمًا وَنُبْلاً-: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي» (السير: ٣٥/١٠).

وقال أيضًا: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد» (إعلام الموقعين: ٢٨٢/٢).

وَهَذَا الإِمَامُ المُبَجَّلُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يقول: «لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا» (إعلام الموقعين: ٢٠١/٢).

وَيَقُولُ أيضًا: «لَمْ يَعْبُرِ الْجِسْرَ إِلَى خُرَاسَانَ مِثْلُ إِسْحَاقَ، وَإِنْ كَانَ يُخَالِفُنَا فِي أَشْيَاءَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَلْ يُخَالِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (تَارِيخ بغداد: ٣٦٢/٧).

وَقَالَ الصَّنْعَانِي مُرْتَجِزًا:

عَلَامَ جَعَلْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ دِينَنَا
لأَرْبَعَةٍ لا شَكَّ فِي فَضْلِهِمْ عِنْدِي
هُمُ عُلَمَاءُ الدِّينِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَنُورُ عُيُونِ الفَضْلِ وَالْحَقِّ وَالزُّهْدِ
وَلَكِنَّهُمْ كَالنَّاسِ لَيْسَ كَلامُهُمْ
دَلِيلاً وَلا تَقْلِيدُهُمْ فِي غَدٍ يُجْدِي
وَلا زَعَمُوا حَاشَاهُمْ أَنَّ قَوْلَهُمْ
دَلِيلاً فَيَسْتَهْدِي بِهِ كُلُّ مُسْتَهْدِ
بَلَى صَرَّحُوا أَنَّا نُقَابِلُ قَوْلَهُمْ
إِذَا خَالَفَ الْمَنْصُوصَ بِالْقَدْحِ وَالرَّدِّ

(ديوان الصنعاني: ص ١٦٨).

وَقَدْ كَانَ الشَّافِعِيُّ يرد شهادة أهل العصبية، فقال رحمه الله: «مَن أظهر العصبية بالكلام وتألف عليها ودعا إليها فهو مردود الشهادة، لأنه أتى محرَّمًا لا اختلافَ فيه بين علماء المسلمين علمتُهُ». (قال المعلمي اليماني: وأما ما ذكره الشافعي في أصحاب العصبية فالشافعي إنما عنى العصبية لأجل النسب كما هو صريح في كلامه اهـ التنكيل: ٢٢٧/١).

واحتج بقول الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات: ١٠)، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وكونوا عباد الله إخوانا » سنن البيهقي. وذكر البيهقي في « باب شهادة أهل العصبية » ما يقارب أربعين حديثًا. (من الحديث (٢١٠٥٩) إلى (٢١٠٩٧)).

منها: ما يُودي (من الموؤدة، أي: يقتل) العصبية، وما يزهق ما يؤدي إليها كحديث أبي هريرة، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا » (رواه البخاري).

ومنها: أحاديث في الحث على الحب في الله تعالى ولا ريب أن فيها تذويبًا للعصبية وزوالاً لأثرها وتقليلاً لحدتها.

وَمِنْهَا: مَا يَنْهَى عن العصبية ذاتها كحديث جندب بن عبدالله المتقدم، وحديث سَلَمَةَ بْنِ بِشْرٍ الدِّمَشْقِيِّ، عَنْ بِنْتِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ أَبَاهَا، يَقُولُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْعَصَبِيَّةُ؟ قَالَ: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ». (وهو حديث ضعيف الإسناد، سلمة بن بشر ذكره ابن حبان في الثقات وقال: (دمشقي يروي عَن سَلمَة بن بشر بن عبد الْعَزِيز وَسعد بن عمَارَة رَوَى عَنْهُ يَعْقُوب بن إِسْحَاق الْحَضْرَمِيّ وَدَاوُد بن رشيد) اهـ وبنت واثلة هي: جميلة، ويُقال: خصيلة، ويُقال: فسيلة، وقال ابن حجر: مقبولة، فهي مجهولة، ولهذا ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود).

فانظر إلى عناية الأئمة بذلك الداء ويقظتهم له وإدراكهم لخطره فلله درهم، وهذا كلامٌ حَرِيٌّ أن يكون صحيحاً عنهم فإنهم كانوا أهل إنصاف وورع.

وَمَا بلغنا أنَّ أحداً ممن مضى منهم ادعى الصواب كله، بل كان الواحد منهم أورع وأتقى لله جلَّ ثناؤه من أن يقول ذلك.

فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا زَمَانَنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله العزيز الحكيم؟!

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب العقيدة

حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة والآثار الناجمة عن ذلك

إعداد/ **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

ففي ختام هذه المباحث العقدية نتناول في هذا العدد حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة، والآثار الناجمة عن ذلك، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أهم المستلزمات التي تترتب على الانتماء لأهل السنة والجماعة:

- أن يتعلم عقيدتهم، ويتشبع بها، ويكون ملمًا بأصولها في الجملة، وأن يطلب العلم الشرعي، ويتفقه في الدين على العلماء والمشايخ، ليدعو على بصيرة وهدى، وأن يوجه أتباعه إلى أخذ العلم الشرعي عن المشايخ، وهذه مسألة مهمة، وبعد ذلك لابد أن يدعو إليها ويبينها للناس ويذود عنها؛ لأنها الحق، يعني: يدعو إلى عقيدة أهل السنة بعد أن عرفها وتعلم العلم الشرعي، وأن يبينها للناس، وأن يدافع عنها.

- كما يتحتم على من انتمى لعقيدة أهل السنة والجماعة-وهو داعية-: أن يظهر أثرها على أفكاره وأهدافه، وأقواله وكتاباته، بل وعلى سلوكه وأعماله، بحيث يكون ملمًّا بتفصيلاتها في العموم، وهذا العموم يشمل -أولاً- الأصول الاعتقادية، كالإيمان والتوحيد، والأسماء والصفات، والقدر، وحقوق الصحابة، وأن يكون متمسكًا بالسنن والأخلاق الفاضلة، والهدي النبوي، وعليه سمة السلف مخبرًا ومظهرًا، لابد من التمسك بهذا العلم، وبما عليه أهل السنة والجماعة في السمات والمظهر والخلق، وغير ذلك.

ويجب على الداعي أن يقتفي منهج أهل السنة في الدعوة، فيأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، وينصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

وعلى الدعاة أن يتربوا تربية صحيحة قائمة على العلم الصحيح الشرعي، وأن يتفقهوا في هذه الدعوة في أصولها.

أمثلة لواقع الدعوات المعاصرة حيال عقيدة أهل السنة والجماعة

هل الجماعات المعاصرة التي هي على الساحة الآن، دعوتها تهتم وتلتزم وتسعى إلى تحقيق عقيدة أهل السنة والجماعة، ونشرها في

المجتمع؟ أم أنها تخالفها؟ ولذلك لابد من ذكر هذا بشيء من التفصيل دون أيضًا الإشارة إلى الأسماء، وغير ذلك.

إن المستلزمات التي ذكرناها الآن -أي: الأمور التي تلزم من انتمى إلى أهل السنة والجماعة- هذه الأمور تحتاج إلى تطبيق على الواقع؛ لنتبين المراد منها، ولابد من الإشارة أو ذكر بعض الأمثلة من كثير من الدعوات والحركات الموجودة اليوم، وأن نشير إلى المخالفات البينة الواضحة التي عليها بعض هذه الدعوات، وهي مخالفات لعقيدة أهل السنة والجماعة في الاعتقادات، والمنهج، والسلوك.

وسنكتفي بعرض شيء من الأخطاء دون ذكر للأسماء أو العناوين.

ولذلك نقول:

- كيف ينتمي لأهل السنة من يؤول صفات الله- تبارك وتعالى- ويقول على الله بغير علم مما هو معلوم، فبعض الناس أولوا صفات رب العالمين سبحانه وتعالى وخرجوا عن معتقد أهل السنة والجماعة في ذلك؛ وذلك عندما يقحمون بعض التأويلات على آيات الصفات؛ لأن إدخالهم للتأويل فيها قولٌ على الله بغير علم، ومن أين لهم أن الله عز وجل أراد ما أتى به من لفظ آخر؟ من أين لهم أن الله عز وجل لم يرد ظاهر اللفظ أو النص المذكور في القرآن الكريم؟!

وقد كان السلف (رضوان الله عليهم) يحذرون من تقديم العقل على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويوجبون التسليم المطلق لكل ما ورد عن الله عز وجل.

وبعض الدعوات القائمة اليوم تقوم على أساس تأويل الصفات، ثم بعد ذلك تدعي أنها هي أهل السنة والجماعة.

- ثم بعد ذلك نقول: كيف ينتسب لأهل السنة من يرى أن الطرق الصوفية المبتدعة منهج سليم للدعوة إلى الله عز وجل؟ للأسف الشديد.

وسبق أن تحدثنا عن البدع التي أدخلها المتصوفة في دين الله، وذكرنا بعض ما يفعلون في الموالد، والابتداع في العبادات، وغير ذلك.

وهل يكون أيضًا من أهل السنة من لم يكف لسانه ولا قلمه عن التعرض بالنقيصة واللمز أو السباب لبعض الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى المعتبرين، وسلف الأمة الماضين، خاصة علماء السنة والحديث.

إن الناظر في وضع هذه الجماعات والمتأمل لها، يجد أنها قد خالفت منهج أهل السنة والجماعة، خالفت اعتقادهم، وبالتالي لا يصح ولا يمكن أبدًا أن نقول بأنها يمكن أن تنتسب إلى أهل السنة والجماعة.

- الجماعات التي تسعى إلى جمع كلمة المسلمين على غير كلمة سواء، ويهمهم فقط أن يجتمعوا حتى ولو كان بينهم الرافضي، والخرافي، والمبتدع، والصوفي، وقد يكون القادياني، وغير ذلك، هل هذا التجمع صحيح؟ لا شك أن جمع كلمة المسلمين هدف عظيم، بل هو من أعظم أصول الدين، ولا ينكره إلا ضال أو جاهل، لكن جمع المسلمين يجب أن يكون على الحق، وعلى الكتاب والسنة، وعلى الاعتصام بحبل الله، لا على مجرد الشعارات الإسلامية الفارغة من الاعتقاد الحق، لابد أن يكون الاعتقاد صحيحًا. وبعض الجماعات يهونون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويزعمون أن في الدين قشرًا ولبابًا. وبعض الجماعات تخرج على سائر المجتمعات، وتكفر أصحابها، وتكفر من فيها، وتدعو إلى الخروج على حكام المسلمين، وغير ذلك، وهذه كلها مسائل تخالف الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة.

والواجب: أن يرجع الجميع إلى كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يترك التحزب والعصبية للأسماء، أو للأشخاص، أو للهيئات والأحزاب، وغير هذا.

بيان أن أهل السنة ليس لهم سمة ولا رسم سوى الإسلام.

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام، ولا رسم سوى القرآن والسنة، وهذا أصل الملة الحنيفية التي دعا إليها شيخ الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) ومن بعده من أنبياء الله ورسله، إلى خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

فيجب على العبد أن يموت على الإسلام، وألا يتخذ شعارًا له سوى الإسلام: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ» ثم تبين الآيات أن هَؤلاء الأنبياء وسلالتهم (صلوات الله عليهم) كانوا يرضون بهذا الاسم، ويؤمنون بأنهم أسلموا نفوسهم ووجوههم

لله- تبارك وتعالى-.

والآيات في هذا عن أنبياء الله ورسله: إبراهيم، وابنه إسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من أنبياء الله ورسله، كثيرة في القرآن الكريم، كلهم تحت لواء الإسلام، ولقب المسلمين، قال الله تعالى: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (البقرة: ٦٧).

ولهذا، فإن كلمة التوحيد وحدت الناس تحت شعار واحد، ألا وهو الإسلام؛ قال تعالى: « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (الأنعام: ١١٥)، وقال تعالى: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» (الزمر: ٢٢). فاسم المسلم وما في كفته من أسماء المدح مثل: المؤمن المتقي الصالح، هي أسماء المكلفين التي علق عليها الشارع المدح، وفي مقابلها ما علق عليه الذم، مثل: الكافر المنافق الفاسق، وعلى هذين المتقابلين مدار الجزاء؛ ثوابًا وعقابًا.

وعليه، فإن ما دون ذلك من ألقاب أحدثت في الشرع بالأمس، هي نظيرة الألقاب التي أحدثت اليوم، وكلها في المنع من باب واحد، في رسمها واسمها، فلا يسوغ للمسلم أن يتلقب بأنه: قدري، أو مرجئ، أو خارجي، أو أشعري، أو ماتريدي، أو معتزلي، كما أنه لا يسوغ له اليوم أن يضيف إلى نفسه وإلى اسمه: إخواني، أو صوفي، أو تبليغي.

وهكذا فالمنع من جهتين: أنه لقب لم يرد به شرع، أو لهذا: ولما فيه من مخالفات لنصوص الشرع في المادة والرسم، وعليه فلا يجوز إحداث واختراع شعارات وألقاب لم يرد بها الشرع، فإنها تكون في البداية كلمة، وفي النهاية مذهب ونحلة، «فلا تغتر بمثل هذا وإن زخرفه أهل الأهواء».

وأهل الإسلام ليس لهم رسم سوى الكتاب والسنة، والسير في الدعوة إليهما على مدارج النبوة، وهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»، وهم الذين سماهم صلى الله عليه وسلم الجماعة، وجماعة المسلمين: الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الطائفة المنصورة كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهم الفرقة الناجية كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهم المنتسبون لسنته وطريقته صلى الله عليه وسلم الراغبون فيها دون ما سواها من الأهواء، وذلك لأن الأهواء تضعف العبد، وتخرجه عن الصراط المستقيم، وقال قال صلى الله عليه وسلم: «من رغب عن سنتي فليس مني» أخرجه مسلم في صحيحه.

ولما تشعبت بالأمة الأهواء، صاروا هم أهل السنة والجماعة دون من سواهم، وهم السلف الصالح، فمن تبع أثرهم، ومن هنا لما ظهرت البدع والأهواء المضلة، قيل لمعتقدهم: السلفي أو العقيدة السلفية، وهم الذين يمثلون الصراط المستقيم، سيرًا على منهاج النبوة، وسلفهم الصالح.

ولهذا فهم ليسوا بحاجة إلى التميز بلقب أو رسم، أو اسم أو شعار، لم يرد به النص. ولم يحصل تمام البروز والظهور لهذه الألقاب الشريفة لجماعة المسلمين إلا حين دبت في المسلمين الفُرْقَة، وتعددت على جنباتي الصراط الفرق، وتكاثرت الأهواء، وخلفت الخلوف، فبرزت هذه الألقاب الشريفة؛ للتمييز عن معالم الفرق الضالة، وهي مع ذلك ألقاب لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنة زيادة أو نقصًا، وإنما يمثلون في الحقيقة والحال الامتداد الطبعي لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (رضي الله عنهم) في الشكل والمضمون، والمادة والصورة.

وعلى هذا نشأت الدعوات الإصلاحية في نواحي الأرض ليس لها اسم ولا رسم، لا يقتضيه منهج الشرع، وقد وجدت دعوات إصلاحية في الجزيرة، ومصر، والشام، والهند، والجزائر، وبغداد، وغيرها، وكلها تدعو إلى الكتاب والسنة، فعلى نورهما يدعون عباد الله إلى الله، إلى صفاء الاعتقاد، ونشر راية التوحيد، والحكم بما أنزل الله، والقيادة على منهاج النبوة، والخلافة الراشدة، ومناصحة الولاة، وتحطيم مظاهر الشرك والوثنية، والأهواء والبدع، وتصحيح مسار الناس إلى ربهم في أعمالهم وأقوالهم، وتخليصها من الآراء والأهواء المضلة تحت سلطان الكتاب والسنة.

وجماعة المسلمين واحدة، لا تتعدد فوق أي أرض، وتحت أي سماء، ليس لها رسم معين سوى النص الشرعي وموجبه، فهي الدعوة إلى الله بيسرها وسهولة تبليغها كما كانت في الصدر الأول.

وعليه أقول: إن أي فرقة أو حزب أو جماعة تعيش تحت مظلة الإسلام باسم معين أو رسم خاص، فهي من جماعة المسلمين وتقترب وتبتعد من الصراط

المستقيم الذي عليه جماعة المسلمين بقدر ما لديها من مناهج وخطط، وتصورات يقرها الإسلام أو ينفيها. أما التي يكون انتسابها إلى الإسلام تلبيسًا وظلمًا كالبابية، والبهائية، والقاديانية، فهذه فرق كافرة، لا دخل لها تحت سرادق بحثنا.

وختامًا:

فإن الحق واحد لا يتعدد، فالتزمه في الكتاب والسنة، والزم جماعة المسلمين، فهي بحق الجسم الذي لا يمكنه التجمع الإسلامي في العالم على صعيد واحد إلا على أساسه، والزم إمامهم وإن فعل وفعل ما لم تر كفرًا بواحًا عليه من الله برهان.

ولا يفوتنا هنا أن ننبه على خطأ كبير: بعض من كتبوا عن الجماعات والفرق الإسلامية المعاصرة، ووازنوا بينها ونقدوها، يذكرون من أقسامها أهل السنة والجماعة، وهذا خطأ كبير في الفهم والتصور، والبعد عن الحقيقة، فإن أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث هم جماعة المسلمين، وليست هذه في شكلها ومضمونها إلا دعوة الإسلام بجميع ما تعنيه هذه الكلمة، بخلاف الجماعات الأخرى، فهي أحزاب وفرق، منها ما فيه دخن ومنها ما يدعو إلى شعبة من شعب الإسلام، دون الأخرى، ومعاذ الله أن يكون المسلمون جميعهم جماعات وأحزابًا، بل إن الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية جماعة المسلمين الملتزمة بالكتاب والسنة والدعوة إليها، ما زالت ولن تزال باقية قائمة إلى أن يأتي أمر الله- تبارك وتعالى-.

الآثار الناجمة عن ضعف تمسك بعض الحركات بهدي السلف:

من نتائج تساهل بعض الحركات الإسلامية في أمر العقيدة، أو مجانبتها لعقيدة أهل السنة والجماعة، أنها وقعت في كثير من التجاوزات والأخطاء، ونقصد بها تلك الأخطاء العامة الشائعة بين الدعوات والدعاة على سبيل الإجمال والعموم.

وسنذكر منها ما يلي:

أولاً: من أعظم وأخطر الأخطاء التي تقع فيها الكثير من الدعوات والدعاة، إهمال جانب التوحيد، أو ضعف الاهتمام به علمًا واعتقادًا وعملاً، وبخاصة توحيد الإلوهية والعبادة، وهذا الجانب من التوحيد له من الأهمية في الكتاب والسنة وأصول الدين، ودعوة الأنبياء والمصلحين، ما يوجب كونه الهدف الأول والغاية الكبرى لأي داعية أو دعوة مهما كانت مبررات قيامها في أي زمان وأي مكان، وقد أشرنا سابقًا إلى منزلة دعوة التوحيد عمومًا، وتوحيد العبادة والإلوهية على الخصوص، ولا غرو فإن هذا التوحيد هو توحيد الإلوهية والعبادة، هو الغاية الأولى من خلق الخلق، قال الله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦).

وهذا التوحيد هو أول ما يتوجه إليه أمر الله وقضاؤه. قال الله تعالى: « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » (البينة: ٥)، والله تعالى ذكر أنه بعث جميع رسله بهذا التوحيد، فقال تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ» (النحل: ٣٦).

ويتفرع عن هذه المسألة أمر آخر جد خطير، وقد غفلت عنه أكثر الدعوات اليوم، ألا وهو وقوع كثير من المسلمين اليوم فيما يناقض هذا التوحيد، أو ينقصه ويخل به، فمما يناقضه من أعمال واعتقادات: دعاء غير الله، والاستعانة والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله، وتصديق الكهان، وما يفعل عند القبور، وعند شيوخ الصوفية والطرق، وغير ذلك مما لا يخفى على الدعاة ولا غيرهم.

ومما ينقص التوحيد ويخدشه: شيوع البدع والخرافات، كالموالد والتمسح بالقبور والأشخاص والأحجار والأشجار، وغير ذلك، ومن الحلف بغير الله، كل هذا وغيره مما هو خلل في التوحيد من الأمراض المستشرية في جسم الأمة الإسلامية، ولابد من علاجه أولاً قبل غيره من الأمراض الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية؛ لأن مرض الاعتقاد هو مرض القلوب، وهو الداء العضال، والمرض الأول الذي نتجت عنه جميع الأمراض والانحرافات الخلقية وغيرها، وهذا هو داء الأمم قديمًا وحديثًا، فهذا المرض على الرغم من خطره وانتشاره ووضوحه، لم يلق من كثير من الدعوات الإصلاحية ما يستحقه.

وها نحن نذكره أولاً، ونؤكد عليه، ونبين أن هذا من الآثار القبيحة جدًا الناتجة عن ضعف تمسك بعض الحركات بهدي السلف أهل السنة والجماعة.

وهناك أمر يغفل عنه الكثيرون، ألا وهو أن صلاح أحوال الناس في معاشهم وأخلاقهم مرتبط بسلامة توحيدهم وعقيدتهم، قال الله تعالى:

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الأعراف: ٩٦)، والإيمان والتقوى لا يتحققان إلا بصحة الاعتقاد وسلامة العبادة، إذ قبول الأعمال الصالحة المفروضة منها، والمسنونة: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبر، والصدق، والعفاف، كل ذلك وغيره مرتبط بصحة الاعتقاد، وصحة الاتباع، والإخلاص لله وحده، وأن يكون العمل صوابًا على مقتضى أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤسف له أن بعض الحركات لا تكتفي بالاستهانة بهذا الواجب العظيم والتخلي عنه، وهو تطهير عقائد المسلمين وعباداتهم، بل تلمز من يقوم بذلك، وترى أن هذا المنهج عقيم ناتج عن قصور التفكير وضيق الأفق، وأحيانًا تدعي أن ذلك اهتمام بالقشور، ويتمثل هذا في الذين يأخذون على الدعوات السنية كأنصار السنة والسلفيين وأهل الحديث اهتمامهم بتخليص الأمة من البدع والخرافات وعنايتهم بتصحيح العقائد، نعم قد يكون لدى هذه الجماعات شيء من القصور والأخطاء في الأساليب، أما اهتمامهم بالعقيدة والعبادة ومحاربتهم البدع، فهي منقبة كبرى تحمد لهم، ويمدحون بها.

ومن الأخطاء أيضًا التي كانت نتيجة ضعف بعض الدعوات والحركات المعاصرة، وبعدها عن التمسك بهدي السلف: التعصب والحزبية والغرور، وهذه السمة-مع الأسف- سمة غالبة في أكثر الجماعات والحركات الإسلامية الإصلاحية، «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (المؤمنون: ٥٣). وكل فريق يرى أنه الجدير بالاتباع، والجدير بقيادة الأمة، وأنه الذي يملك القدرة على حل المشكلات، ومن الحركات من ينظر إلى غير منسوبي جماعته من عامة المسلمين، أو من الدعوات والدعاة الآخرين، على أنهم بدرجة أقل من الجدارة والتفكير، والإدراك للمصالح، وربما تدعي بعض الحركات أنها جماعة المسلمين، أو أنها الأجدر بهذا الوصف.

وقد أودى الغرور لدى بعض الحركات الإسلامية بأن جعلها تستهين بالعلوم الشرعية، وبالعلماء المتمكنين في علوم الشريعة الذين لا ينتمون إليها، ورمي بعضهم بالتغفيل، وقصور التفكير، وضيق الأفق، ونحو ذلك من الأخطاء الشنيعة.

ومن تلك الأخطاء التي ترتبت على الجهل بمنهج السلف: التفرق والاختلاف، وهذا-مع الأسف- من أبرز سمات الحركات الإسلامية القائمة، وهذه السمة قد ذمها الله تعالى، ونهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» (آل عمران: ١٠٥).

وقد بينا النتيجة الوخيمة للتفرق والاختلاف، كما بينا دعوة الإسلام إلى الاجتماع، والى التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، ومع شدة نهي الإسلام عن التفرق والاختلاف وقعت بعض الحركات الإسلامية، على الرغم من إلحاح الحاجة إلى الاجتماع على الحق وعلى الكتاب والسنة، وقعوا في التفرق والاختلاف.

فالدعوات المعاصرة لا تزال متفرقة في مناهجها، وأهدافها، وأساليبها، وأعمالها، وتعلن الخلاف وتصعده، بل حتى تلك الدعوات المتشابهة في المنهج أو في بعضه، تنزع إلى الاستقلالية والتفرق، واصطناع الاختلاف في واقع أمرها، مما يدل على أن المشكلة في رؤوس الأشخاص أنفسهم وأهوائهم، والسبب الرئيس لذلك ضعف الصلة بالكتاب والسنة، والأثر، وبمنهج السلف الصالح لدى أغلبية هؤلاء الناس، والتعصب والحزبية والغرور، ثم عدم الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة التي تقضي بوجوب الاجتماع على الحق، والاعتصام بحبل الله المتين.

ونحن لا نطلب من الحركات والدعوات أن يجتمعوا على ما هم عليه من مخالفات عقدية وسلوكيات لمنهج السلف، فهذا تلفيق نبرأ إلى الله منه، ولكننا ندعو إلى الاجتماع على الحق، والحق واضح من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتراث العظيم الذي خلّفه لنا السلف الصالح (رضوان الله عليهم).

وبهذه الكلمات نختتم حديثنا في هذه المادة المباركة، والتي أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بها، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجمع المسلمين على هذه العقيدة السلفية الصحيحة التي كان عليها نبي هذه الأمة، ودعا إليها صلى الله عليه وسلم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

احذر التسويف في التوبة

قال تعالى: " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " (النساء: ١٧).

من فضائل الصحابة

بشهادات آل البيت

عن سالم بن أبي حفصة -وكان يترفض- قال: دخلت على أبي جعفر وهو مريض، فقال -وأظن قال ذلك من أجلي-: "اللهم إني أتولى وأحب أبا بكر وعمر، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة". (سير أعلام النبلاء).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في شهر شعبان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان. (سنن أبي داود وصححه الألباني).

من جوامع الدعاء

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تشمت بي عدوًا ولا حاسدًا، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك" (مستدرك الحاكم).

من أقوال السلف

قال الأوزاعيُّ -رحمه الله تعالى-: «كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمَد والتّابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتّباع السّنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله (أي: مع الحاكم)» (أصول الاعتقاد).

حكم ومواعظ

إحسان الظن بالله

عن عقبة البزَّار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئًا يا صاحبها. فقلت: علام تهنّئه؟ قال: كيف لا أهنّئ من يذهب به إلى حبس جواد كريم، نُزله عظيم، عفوُه جسيم؟! قال: كأنّي لم أسمع القول إلّا تلك السّاعة. (أهوال القبور لابن أبي الدنيا).

من معاني الأحاديث

(ضلع) فيه «أعوذ بك من الكسل وضلع الدين» أي: ثقله. والضلع: الاعوجاج: أي يثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال. يقال ضلع بالكسر يضلع ضلعًا بالتحريك. وضلع بالفتح يضلع ضلعًا بالتسكين: أي مال. (النهاية لابن الأثير).

خُلق حسن فالزمه

قال عمار بن ياسر- رضي الله عنهما-: "ثلاث من جمعهنّ فقد جمع الإيمان: "الإنصاف من نفسك، وبذل السّلام للعالم، والإنفاق من الإقتار". (صحيح البخاري).

إعداد/ علاء خضر

خلق سيء فاحذره

قال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-: "للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في النّاس، ويزيد في العمل إذا أُثنِيَ عليه، وينقص إذا ذُمَّ". (نضرة النعيم).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به، وإنه يصير إلى ما جُبل عليه"، ضعيف. فهذا الحديث مخالفٌ للأحاديث الثابتة في الحض على تحسين الخلق. (السلسلة الضعيفة للألباني).

من صفات القضاة

قال عمر بن عبد العزيز: "إذا كان في القاضي خمس خصال، فقد كمل: علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل العلم والرأي". (العقد الفريد).

من دلائل النبوة

حفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من سيئ الفعَال

عن جابر بن عبد الله -رضَي الله عنهما- يحدِّث: "أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كان ينقل الحجارة معهم للكعبة، وعليه إزار، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة؟ قال: فحَّله فجعله على منكبيه فسقط مغشيًا عليه، فما رئُي بعد ذلك اليوم عريانًا". (صحيح البخاري).

من حكمة الشعر

قال ابن أحمر:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع
بعرض أبيه في المعشر ينفق

يقال في المثل: من باع بعرضه أنفق، يقول من شاتم الناس وجد عرضه نافقًا يُشتم، يقال: أنفق الرجل إذا نفقت تجارته. (المعاني لابن قتيبة).

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

(الحلقة ٨٣)

المسح على الجوربين

الحلقة الثانية

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقة السابقة ذكرنا الأقوال الثلاثة لأهل العلم في المسح على الجوربين، وقلنا: إن سبب الخلاف هو اختلافهم في الأحاديث الواردة في المسح على الجوربين، وخاصة حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وأوردنا ثلاثة من الأحاديث التي جاءت في هذه المسألة، ورأينا خلاف أهل العلم في حديث المغيرة بن شعبة -وهو العمدة في هذا الباب-، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى:

٤- عن بلال رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على الخفين والجوربين» (المعجم الكبير للطبراني ح ١٠٦٣).

سند الحديث: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي، حدثني أبي، ثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة عن بلال رضي الله عنه، وآفة السند: يزيد بن أبي زياد، قال الحافظ: ضعيف؛ كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيًا (تقريب التهذيب ت ٧٧١٧، وانظر أقوال أهل العلم فيه في تهذيب التهذيب ١١/٣٢٩-٣٣١).

وقد خالف يزيد بن أبي زياد الحكم بن عتيبة فرواه عن ابن أبي ليلى بذات السند عن بلال رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على الخفين والخمار. وليس فيه ذكر الجوربين (صحيح مسلم ح٢٧٥، وغيره).

فوائد: ١- الخمار هو ما يغطى به الرأس، وهنا بمعنى العمامة، فالحديث أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة. وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في المسح على العمامة، والنسائي: كتاب الطهارة، باب المسح على العمامة.

٢- هذا الحديث تكلم عنه الدارقطني في العلل ١٧١/٧ - ١٧٥، وعمار بن الشهيد في علل

الأحاديث في كتاب صحيح مسلم ١/٦٢-٦٦ وغيرهما. وصححه الألباني في سنن النسائي وابن ماجه والترمذي. والأرناءوط في مسند أحمد، والحديث له روايات كثيرة، انظر تعليق الأرناءوط على مسند أحمد ٣٩/٣١٧-٣١٩).

آثار عن الصحابة رضي الله عنهم:

ورد عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم المسح على الجوربين، منهم: علي بن أبي طالب، وابن عمر، والبراء بن عازب، وأبو مسعود البدري، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم (قال الألباني: هذه الآثار (أي ما نقل عن مسح الصحابة للجوربين، أخرجها عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والبيهقي، وكثير من أسانيدها صحيح عنهم، وبعضهم له أكثر من طريق واحد، ومن ذلك طريق قتادة عن أنس أنه كان يمسح على الجوربين مثل الخفين وسنده صحيح..

وعن يحيى البكاء قال: سمعت ابن عمر يقول: المسح على الجوربين كالمسح على الخفين، وتلقى نافع ذلك عنه، فقال: هما بمنزلة الخفين، أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن عنه. (انظر المسح على الجوربين والنعلين للقاسمي صـ٥٦-٥٨).

وفي كتاب «المسح على الجوربين والنعلين - عدَّ ستة عشر صحابيًا ثبت عنهم المسح على الجوربين.

وذكر من التابعين قتادة، وابن المسيب، وابن جريج، وعطاء، والنخعي، والحسن، وخلاس، وابن جبير، ونافع-رحمهم الله تعالى- ثبت عنهم المسح على الجوربين أيضًا (انظر المسح على الجوربين والنعلين صـ٤٠).

القائلون بمنع المسح على الجوربين مطلقًا:

قالوا: إن الأصل هو غسل الرجلين كما هو ظاهر القرآن، والعدول عنه لا يجوز إلا بأحاديث صحيحة اتفق على صحتها أئمة الحديث، كأحاديث المسح على الخفين، فجاز العدول عن غسل القدمين إلى مسح الخفين بلا خلاف، وأما أحاديث المسح على الجوربين ففي صحتها كلام عند أئمة هذا الفن، كما عرفت، فكيف يجوز العدول عن غسل القدمين إلى المسح على الجوربين مطلقًا.

والى هذا أشار مسلم بقوله: لا يُترك ظاهر القرآن بمثل أبي قيس وهذيل (تحفة الأحوذي ١/٢٨٤).

والجواب على هذا من وجوه: رد ابن القيم على هذا القول، بعد أن ذكر الصحابة الذين ثبت عنهم المسح على الجوربين، فقال: والعمدة في الجواز على هؤلاء - أي الصحابة - رضي الله عنهم - لا على حديث أبي قيس مع أن المنازعين في المسح متناقضون، فإنهم لو كان هذا الحديث من جانبهم لقالوا هذه زيادة ثقة، والزيادة من الثقة مقبولة، ولا يلتفتون إلى ما ذكروه ها هنا من تفرد أبي قيس.. وقد نص أحمد على جواز المسح على الجوربين وعلل رواية أبي قيس، وهذا من إنصافه وعدله رحمه الله.

وإنما عمدته هؤلاء الصحابة وصريح القياس، فإنه لا يظهر بين الجوربين والخفين فرق مؤثر يصح أن يُحال الحكم عليه.

والمسح عليهما قول أكثر أهل العلم، منهم من سمينا من الصحابة، وأحمد وإسحاق بن راهويه وعبدالله بن المبارك وسفيان الثوري وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وسعيد بن المسيب وأبو يوسف، ولا نعرف في الصحابة مخالفًا لمن سمينا. (انظر عون المعبود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب السنن ١/١٨٧-١٨٩).

٢- ثم كيف يظن بالصحابة رضي الله عنهم بأنهم تركوا ظاهر القرآن، وخالفوه بالمسح على الجوربين. يقول ابن القيم: الذين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوا تأويله، مسحوا على

الجوربين، وهم أعلم الأمة بظاهر القرآن ومراد الله منه .(السابق ١/١٩٠).

٣- فإذا كان ظاهر القرآن لا ينافي المسح على الخفين، فكذلك لا ينافي المسح على الجوربين.

٤- إن الحكمة التي شرع من أجلها المسح على الخفين موجودة في المسح على الجوربين (انظر موسوعة أحكام الطهارة لأبي عمر دبيان ٥/٧٧).

٥- القائلون باشتراط أن يكون الجوربان مُنَعَّلَين (أي: لهما نعلان من جلد) ومجلدين (أي يغطيهما الجلد)؛ (فإن سألت ما الذي دعا العلماء إلى اشتراط هذه القيود، مع أنَّ الأحاديث والآثار عن الصحابة وردت في المسح على الجوربين مطلقة وليست مقيدة فبعضهم اشترط التجليد، وبعضهم التنعيل، وبعضهم الصفاقة، وبعضهم اشترط تتابع المشي عليهما إلى غير ذلك؟

قلت: لأن أحاديث المسح على الجوربين في صحتها كلام؛ لذا فقد وضعوا قيودًا وشروطًا في الجوربين حتى يأخذا حكم الخفين ويكونا في معناهما على ما سنرى.

١- قالوا: إن المسح يتعين على الجوربين المجلدين لا غيرهما، لأنهما في معنى الخف، والخف لا يكون إلا من أديم نعم لو كان الحديث قوليًّا - أي: من قول النبي صلى الله عليه وسلم - بأن قال النبي صلى الله عليه وسلم: امسحوا على الجوربين، لكان يمكن الاستدلال بعمومه على كل أنواع الجوارب.

فإن قلت: ويحتمل أن يكون الجوربان اللذان مسح عليهما النبي صلى الله عليه وسلم من صوف. قيل الاحتمال وارد، لكن رجحنا كون الجوارب من أديم، لكونها في معنى الخف، وأما المسح على غير الأديم فثبت بالاحتمالات التي لا تطمئن لها النفس، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

والإجابة عن ذلك: لم يثبت أن الجوربين الذين مسح عليهما النبي صلى الله عليه وسلم كانا مجلدين أو مُنَعَّلين، فمن أين جيء بهذا التقييد؟ ثم إن الصحابة رضي الله عنهم الذين نُقل عنهم المسح على الجوربين، لم يُنقل عنهم اشتراط أن يكونا مُنَعَّلين أو مجلدين أو غير ذلك. يقول المباركفوري: هذا القول لا يثبت إلا بعد أن يثبت أن الجوربين اللذين مسح عليهما النبي صلى الله عليه وسلم كانا مجلدين، ولم يثبت هذا قط (انظر تحفة الأحوذي ١/٢٨٦).

فهل الجورب في لغة العرب أو عرفهم هو ما كان مجلدًا بجلد أو ما له نعلان، فلو ثبت ذلك فإنه يمكن التقييد به لصفة الجوربين. في تصحيح الصحيح وشرحه لابن المرزبان: فالجورب اسم ما يُلَفّ على القدم ليقيها (ص٢٧٢، وهو من علماء القرن الرابع الهجري، وفي تاج العروس للزبيدي: الجورب: غشاءان للقدم من صوف يتخذ للدفء (٢/١٥٦)، وفي الجيم للشيباني: الجورب: الغلالة (١/١٢٢)، وهو من علماء القرن الثاني الهجري).

فلم نجد تقييدًا للجورب في لغة العرب أو عرف استعمالهم - على ما أعلم - أنه المُجَلَّد بجلد أو له نعلان من الجلد، وقال في الموسوعة الفقهية: الجورب هو ما يلبسه الإنسان في قدميه سواء كان مصنوعًا من الصوف أو القطن أو الكتان أو نحو ذلك (٣٧/٢٧١).

٢- قالوا: إن المسح على الخف رخصة، وإن الرخص لا تتعدى محلها. وقالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمسح على غير الجلد، فلا يجوز تعديه إلى غيره، وهذا مبني على شطر قاعدة أصولية مختلَف فيها، وهي: هل يلحق بالرخص ما في معناها، أو يقتصر عليها ولا تتعدى محلها؟ ومن فروعها - أي: القاعدة- اختلافهم في بيع العرايا من العنب بالزبيب اليابس، هل يجوز إلحاقًا بالرطب بالتمر أولاً؟ (بيع العرايا: هي بيع الرطب على النخل بتمر في الأرض، أو العنب في الشجر بالزبيب).

لذا أجمعوا على جواز المسح على الخف الذي هو من الجلود، واختلفوا فيما كان من غير الجلد إذا كان صفيقًا ساترًا لمحل الفرض، فقال مالك وأصحابه: لا يمسح على شيء غير الجلد، فاشترطوا في المسح أن يكون الممسوح خفًا من جلود أو جوربًا مجلدًا ظاهره وباطنه، يعنون ما فوق القدم وما تحتها لا باطنه، الذي يلي القدم.

واحتجوا بأن المسح على الخف رخصة.

وجمهور العلماء منهم الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وأصحابهم على عدم اشتراط الجلد؛ لأن سبب الترخيص الحاجة إلى ذلك، وهي موجودة في المسح على غير الجلد، ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من أنه مسح على الجوربين والموقين. قالوا: والجورب: لفافة الرِّجْل، وهي غير جلد وفي القاموس: الجورب لفافة الرِّجْل: وفي اللسان: الجورب لفافة الرِّجْل، معرب وهو بالفارسية كورب) (الموق: الذي يلبس فوق الخف، وقيل الموق: الخف).

والجمهور قالوا: نفس الجلد لا أثر له، بل كل خف صفيق ساتر لمحل الفرض يمكن فيه تتابع المشي، يجوز المسح عليه، جلدًا كان أو غيره. (انظر أضواء البيان ١/٣٣٧ - ٣٣٨).

٣- قالوا: إن الجوارب إذا لم تكن مُنَعَّلة أو مجلدة لا يمكن متابعة المشي عليها، فإذا لم يمكن لم يصح المسح عليها.

وأجيب عن ذلك: أنه ليس بين أيدينا دليل على اشتراط إمكان متابعة المشي عليها.

٤- قالوا: إن المسح على الخف على خلاف القياس، فلا يصح إلحاق غيره به، إلا أن يكون في معناه، ولا يكون الجورب في معنى الخف إلا إذا كان مجلدًا أو منعلًا.

والجواب عن هذا: إنه لم يلحق الجورب بالخف اعتمادًا على القياس وحده، بل اعتمادًا على ما صح من أحاديث عامة وخاصة - في المسح على الجوربين، إضافة إلى فعل الصحابة رضي الله عنهم، ولو لم يكن إلا فعل الصحابة رضي الله عنهم لكفى به دليلاً، فهم شهدوا التنزيل، وعاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أهل اللغة ويعرفون معنى الجورب، ومعنى الخف أكثر من غيرهم، وعن الأزرق بن قيس قال: رأيت أنس بن مالك أحدث فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على جوربين من صوف، فقلت أتمسح عليهما؟ فقال: إنهما خفان ولكنهما من صوف (الدولابي في الكنى والأسماء ٢/٥٦١، ح ١٠٠٩).

القائلون باشتراط أن يكون الجوربان صفيقين

قال الكاساني: وأما المسح على الجوربين فإن كانا مجلدين أو منعلين يجزيه بلا خلاف عن أصحابنا، وإن لم يكونا مجلدين ولا منعلين فإن كانا رقيقين يشفان الماء فلا يجوز المسح عليهما بالإجماع (بدائع الصنائع ١/١٠) (يشفان: أي يُرَى ما تحتها من بشرة الرجل).

وتعقب الشيخ الألباني دعوى الإجماع، فقال: إن كان أراد إجماع أئمة السلف والخلف فباطل فقد نقل الإمام النووي في شرح المهذب: جواز المسح على الجوربين، وإن كانا رقيقين عن أميري المؤمنين عمر وعلي رضي الله عنهما وإسحاق وداود، بل نقل حكايته عن أبي يوسف ومحمد، ثم هو مذهب الإمام ابن حزم، فكيف يصح دعوى الإجماع وإن كان أراد إجماع الحنفية فقد يسلم لكنِ حكاية النووي عن الصحابيين يدفعه أيضًا، فقد اتضح أن لا إجماع في الباب. (انظر المسح على الجوربين والنعلين صـ٧٠).

وأيضا نعود للقول الذي أشرنا إليه من قبل أن الأحاديث والآثار التي ثبتت في المسح على الجوربين ليس فيها أي شرط ولا قيد، ومن المعلوم أن النصوص تُحمل على عمومها إلى أن يرد مخصِّص، وعلى إطلاقها حتى يأتي ما يقيدها، ولم يأت فيها ما يخصصها ولا يقيدها.

هذا، وللحديث بقية،

والحمد لله رب العالمين.

التفاؤل.. حياة القلب والبدن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن الهموم والغموم من طبيعة الحياة الدنيا، فهي دار الشدة والضنك، كثيرة المنغصات، لاسيما في هذا الزمان العجيب، الذي يتجرع الناس فيه المر كؤوسًا، وكل ذلك بقدر الله السابق.

إعداد/ **أحمد صلاح**

فطبيعة الحياة الدنيا المعاناة والشدائد التي يواجهها الإنسان في أحواله المختلفة، كما دل على ذلك القرآن الكريم: « لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ » (البلد:٤)، وإن الهموم الواردة على القلب إن كانت من أمر ماض أحدثت حزنًا، وإن كانت من مستقبل أحدثت همًّا، وإن كانت من أمر حاضر أحدثت غمًّا، حتى يكاد المرء أن يكون حرضًا أو يكون من الهالكين.

والقلوب تتفاوت في مواجهة الهم والغم (كثرة واستمرارًا)، بحسب ما فيها من الإيمان؛ لأن العقيدة تؤثر في المعالجة، فترى كثيرًا من ضعاف الإيمان إذا نزلت بهم نازلة، أو أصابهم مكروه، فإنهم يُصابون بالانهيار، أو يُقدمون على الانتحار، للتخلص من الكآبة والهم (زعموا).

أما المؤمن الذي اهتدى بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه أصبر الناس على البلاء، وأثبتهم في الشدائد، وأرضاهم نفسًا عند الملمات، عرف من حياة الأنبياء والمرسلين أنهم أشد الناس بلاءً، فأخذ من حياتهم أسوة، ومن صبرهم زادًا، فلم يطمع أن يكون خيرًا منهم، قال الله تعالى: « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ » (البقر:٢١٤).

والهموم والغموم في حياة الناس تتفاوت بتفاوت بواعثهم وأحوالهم، « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا » (البقر:١٤٨)، وكل ذلك قدره الله تعالى، وأراده كونًا.

- مر إبراهيم بن أدهم رحمه الله على رجل مهموم، فقال له: إني سائلك عن ثلاثة فأجبني، قال: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ أو ينقص من رزقك شيء قدَّره الله؟ أو ينقص من أجلك لحظةٌ كتبها الله؟ قال الرجل: لا، فقال إبراهيم: فعلامَ الهمُّ إذن؟!

عباد الله!! إن الهم جندٌ من جنود الله، يبتلي به عباده لينظر كيف يعملون، وهو وإن كان شعورًا وليس مادة، إلا أنه أشد أثرًا من

المؤذيات المادية.

فأقوى جند الله هو الهم، يسلطه الله على من يشاء من عباده، ولقد صدق الله: «فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ» (الأنعام:١٢٥).

لماذا البلاء؟ ومن أشدُّ الناس بلاءً؟

الإنسان كلما ازداد إيمانًا كلما اشتد عليه البلاء والإيذاء!! والله تعالى لم يقدر ذلك لهلكة الإنسان وعذابه (حاشاه سبحانه)، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه، وبه يظهر الفرق بين الهمتين: العلوية والسفلية.

فعن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتُلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». (رواه أحمد والترمذي).

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَوْعُوكٌ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَوَجَدَ حَرَارَتَهَا فَوْقَ الْقَطِيفَةِ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: مَا أَشَدَّ حَرَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ الصَّالِحُونَ، لَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَتَحَرَّيهَا فَيَلْبَسُهَا، وَيُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَلَأَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ ". (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني).

التفاؤل.. حياة القلب والبدن

إن المسلم يمر بأوضاع وأحوال يرى فيها الشر باديًا مستوليًا على كيانه، تبلغ به القلوب الحناجر، يقول: «يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا»!! ولو تفكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «عجبت للمؤمن، إن الله لم يقض قضاءً إلا كان خيرًا له». لاستبشر وأيقن أن الخير كامنٌ فيما يظن أنه شرٌ، فإن المؤمن بعد زوال الغمة يدرك أنها كانت خيرًا محضًا، لما يرى من عاقبتها الحسنة التي لم تكن لتحدث بغير تلك الأحوال المكروهة.

وكاد أن يصيب كبد الحقيقة من وصف المتشائم بأنه (ميت الأحياء)، ألا يكفي أنه مطعون في قوة يقينه وإيمانه؟! ضيق الصدر، مسلوب الإرادة، لا ينظر إلا تحت قدميه، أمَّا المتفائل، فشعاره: "إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي".

والتفاؤل يعني: انشرح القلب، وتوقع الخير، واستنشاق عبير الأمل، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبث روح الأمل والتفاؤل بين أصحابه في أحلك الظروف وأقساها لا يعرف اليأسُ إلى قلبه طريقًا، ولا إلى إيمانه مدخلاً، يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة- وهي التشاؤم- لأنها سوء ظن بالله تعالى، ولن يغلب عسرٌ يسرين.

وبداية طريق الوصول من العسر إلى اليسر هو الفأل وحسن الظن بالله تعالى، فإنه يجعلك تحسُّ بالنور ولو كنت أعمى البصر، لأن التشاؤم لا يريك إلا الظلام، ولو كنت أحدَّ الناس بصرًا.

سيفتح الله بابًا كنت تحسبه

من شدة الهم لم يُخلق بمفتاح

ولذا فإن من سبر حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وجدها مليئة بالفأل والتفاؤل، حتى في لقائه مع عدوه اللدود، فإنه صلى الله عليه وسلم لما كان في صلح الحديبية، وأقبل عليه رجل من قريش- وهو سهيل بن عمرو- قال صلى الله عليه وسلم: "لقد سهل أمركم".

وفي يوم الخندق لما وصلت الأخبار أن يهود بني قريظة نقضت العهد، وأيقن من ذلك، نادى في الناس: "الله أكبر، أبشروا يا معاشر المسلمين"؛ لئلا يفت بالتشاؤم في عضد المؤمنين!!

ولم يقتصر تفاؤله صلى الله عليه وسلم على ما يكون في أرض الواقع، بل إنه يستحضره حتى في تعبير الرؤى المنامية، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة لنا في الآخرة، وأن ديننا قد طاب".

فالله أكبر!! ما أعظم الفأل في سيرته صلى الله عليه وسلم!! إنه يريد لأمته ألا تيأس ولا تتشاءم، يُحيي روح التفاؤل وحسن الظن بالله بينهم، حتى في حال الدعاء يُذكرنا صلى الله عليه وسلم بالفأل فيقول: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة". (رواه الترمذي).

واني لأدعو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله صانع

يا صاحب الهم! جُل بقلبك في حنايا التاريخ مستصحبًا معك الوحيين، لتعلم كم من غمّ أزاحه الله! وكم من بلية رفعها الله! وكم من كرب نَفَّسَهُ الله! وكم من هم كشفه الله!

يا صاحب الهم، أتذكر نبأ «ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ» (التوبة:٤٠)!! وقد أنزل الله عليهما من نصره وتأييده ما لا يخطر للبشر على بال!

يا صاحب الهم، أتذكر خبر يوسف عليه السلام؟ الذي بدأ حياته بالجب ثم عبدًا مملوكًا، ثم السجن، ثم كان مَلكًا!! لم يؤهله لهذا المنصب حسب ولا نسب، ولكنها إرادة الملك.

يا صاحب الهم، أتذكر خبر موسى عليه السلام؟ الذي تربى في بيت عدوه، وتحت حمايته! شاء فرعون أمرًا، وشاء الله أمرًا آخر، أمر فرعون أن يُقتل كل مولود، واستثنى الله تعالى من ذلك موسى، فسبحان من لا يعلم أقدار خلقه إلا هو!!

هي الأيام والعبر
وأمر الله ينتظرُ
أتيأس أن ترى فرجًا
فأين الله والقدرُ؟

لقد عمي يعقوب عليه السلام بسبب القميص «وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ» (يوسف:١٨)، ثم أبصر بسبب القميص، «فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا» (يوسف:٩٦)، فيا أيها المبتلى! يا صاحب الهم! ما يسوؤك اليوم قد يسرك غدًا.

لقد لاقى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الطائف من ثقيف ما يتفطر له الفؤاد، فقد وقف له أهل الباطل سماطين (صفين)، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيدٌ رضي الله عنه يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاجٌ في رأسه، وقد ألجأه المسير إلى حائط ابني ربيعة، بقرن الثعالب، وقد جلس ينتفض فؤاده، وقدماه تُدمي، وهو يتصبب عرقًا من طول المسير.

وفي تلك الحالة العصيبة بكل معانيها قال له زيد بن حارثة: يا رسول الله، إلى متى؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا زيد، إن الله تعالى جاعلٌ لما ترى فرجًا ومخرجًا".

يا صاحب الهم! إذا علمت أن الله هو الملك، وأن أمرك بيده، فلن تشقى أبدًا.

يا صاحب الهم، إن في الله خلفًا من كل هالك، وعوضًا من كل تالف، وعزاءً من كل مصيبة، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المُصاب من حُرم الثواب.

محنٌ أخا الإسلام أنت محلها
فإذا جزعت من الهموم فمن لها؟!
فاصبر فإن الله يُعقب فرجه
ولعلها أن تنجلي ولعلها
وعسى تكون قريبة من حيث لا
ترجو وتمحو من جديدك ذُلها

فاللهم فارج الهم، كاشف الضر، مجيب دعوة المضطرين، فرِّج همومنا، ونَفِّسْ كروبنا، واكشف الضر عنا، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

الحلقة الأولى

الإحسان إلى اليتيم خُلق كريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فالإحسان إلى اليتيم خلق كريم، فيه طاعة رب العالمين ونبيه الأمين صلى الله عليه وسلم، وبه يلين القلب، ويدرك الإنسان حاجته، ونبني المجتمع السليم، ونكون يوم القيامة في أعلى عليين مع سيد المرسلين في جنة أرحم الراحمين.

إعداد/ **صلاح عبد الخالق**

اليتيم في اللغة:

- الَّذي مَاتَ أبوه فَهُوَ يَتيمٌ حَتَّى يبلغَ، فإذا بلَغَ زَالَ عَنْهُ اسمُ اليُتْم، وَالْجَمْعُ أيْتَامٌ ويَتَامَى ويَتَمَةٌ.

- وَلاَ يُقَالُ لِمَنْ فقَد الأمَّ مِنَ النَّاسِ يَتِيمٌ، وَلَكِنْ مُنْقَطِعٌ.

واللَّطيم الَّذي يموتُ أبَواه.

وأصلُ اليُتْم الانفرادُ، وَقيلَ الغفْلَةُ.

- قَالَ الْمُفَضَّلُ: أصل اليُتْم الغفْلَةُ، وسمي اليَتيمُ يَتيماً لأنـه يُتَغافَلُ عَنْ بَـرِّه. لسان العرب (١٢/٦٤٥).

اليتيم في الاصْطلاح:

عَرَّفَ الْفُقَهَاءُ الْيَتِيمَ بِأَنَّهُ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ دُونَ الْبُلُوغِ؛ لِحَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ، وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ» سنن أبي داود (٢٨٧٣) وصححه الألباني. الموسوعة الفقهية الكويتية (٤٥/٢٥٤).

- اليَتيم في القرآن:

وردت كلمة اليتيم ومشتقاتها في ثلاث وعشرين آيـة من آيـات القـرآن العظيم، وبالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأن اليتيم، فإنه يُمكن تصنيفها إلـى خمسة أقسام رئيسة، كلها تدور حول:

١- دفع المضار عنه.
٢- وجلب المصالح له في ماله، وفي نفسه.
٣- وفي الحالة الزواجية.
٤- والحث على الإحسان إليه.
٥- ومراعاة الجانب النفسي لديه. (فضل كفالة اليتيم للسدحان: ١/٦)

الإحسان إلى اليتيم له فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة:

أولاً: من فضائل الإحسان إلـى اليتيم في الدنيا:

١- طاعة لله تعالى: قال تعالى: (وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: ٣٦).

قوله تعالى: «وَالْيَتَامَى» وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا مَنْ يَقُومُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَمَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرَ اللهُ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ. تفسير ابن كثير (٢٩٨/٢).

٢- طاعة للرسول صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ:

- عن أَبِي الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَدْنِ الْيَتِيمَ مِنْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِه، وَالْطُفْ بِه" صحيح الجامع (٢٥٠).

(أَدْنِ الْيَتِيمَ مِنْكَ): قَرِّبه من نفسك وقلبك، وعامله معاملة حسنة، فيها مودة هكذا يأمرك صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فإذا أطعت الله تعالى ورسوله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فزت بسعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧١).

-«وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ» في الأمر والنهي فقد فاز فوزاً عظيماً وهي سعادة الدارين: النجاة من كل مخوف والظفر بكل محبوب مرغوب. أيسر التفاسير (٢٩٨/٤).

٣- حفظ لذريتك من بعدك:

- قال تعالى: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء: ٩). فكافل اليتيم اليوم إنما يعمل لنفسه لو ترك ذرية ضعافاً، فكما تُحسن إلى اليتيم اليوم يُحسن إلى أيتامك في الغد وكما تدين تُدان. (فضل كفالة اليتيم للسدحان: ١٤/١).

٤- علاج لقسوة القلب:

عن أبي هريرة رضي اللهِ عنه: أَنَّ رجُلاً شكا إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَسْوةَ قلْبه. فقال: "امْسَحْ رأسَ اليَتيم، وأَطْعِم المسكينَ". (رواه أحمد، صحيح الترغيب (٢٥٤٥).

- قسوة القلب مرض خطير، استعاذ صلى الله عليه وسلم مِنْ قلب لا يخشع، وذلك لقسوته، والقلوب القاسية مذمومة في القرآن قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) (الزمر: ٢٢).

فدلنا صلى الله عليه وسلم على ما يَمحو هذه القسوة حتى يَعود القلب سليمًا معافًى، وذلك بمسح رأس اليتيم.

٥- حل للمشكلات:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "أتى النبيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ رجلٌ يشكو قسوةَ قلبه. قال: "أتُحبُّ أنْ يلينَ قلبُك، وتُدركَ حاجتَكَ؟ ارْحَم اليتيمَ، وامسَحْ رأسه، وأطْعِمْهُ منْ طَعامك؛ يَلِنْ قَلبُكْ، وتُدرِكْ حاجتَك" صَحيح الترغيب (٢٥٤٤).

الجزاء من جنس العمل فكما أحسنت إلى اليتيم يُحسن الله تعالى إليك ويُسهل لك أمورك؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

٦- تجارة مع الله:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيم لَمْ يَمْسَحْهُ إِلاَّ لِلَّه كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ". قَالَ الهيثمي في المجمع (١٩٠/٨): رواه أبو داود باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

- الظَّاهِرُ أَنَّ الْحَسَنَاتِ مُخْتَلِفَةٌ كَمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً بِاعْتِبَارِ تَحْسِينِ النِّيَّاتِ. قَالَ الطِّيبِيُّ: مَسْحُ رَأْسِ الْيَتِيمِ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّفَقَةِ وَالتَّلَطُّفِ إِلَيْه. مرقاة المفاتيح (٣١١٥/٨)؟

- كم في رأس اليتيم من شعر لك به حسنات!! بلمسة حانية خالصة لوجه الله تعالى.

٧- من خير الناس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْش أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيم في صغَرِه، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْج في ذَاتِ يَدِه" مسلم (٢٥٢٧)، البخاري (٥٠٨٢).

هذه صفات حميدة من العطف والإحسان إلى اليتامى ورعاية الزوج وأن من فعل ذلك يكون من أفضل الناس.

٨- بناء مجتمع سليم:

الإحسان إلى اليتيم يساهم في بناء مجتمع سليم خال من الأمراض القلبية من حقد وكراهيَة، وعقد نفسية وتسوده روح المحبَة والودّ؛ لأن اليتيم فقد من يَحنو عليه ويُشاهد بنفسه الناسَ تحنو على من له أب وهو لا أحد يسأل عنه فيشعر بالنقص فيحسد ويحقد على كل من له أب، فإذا أحسنا إليه نزعنا منه هذه الأمراض؛ عاش طبيعيًّا نافعًا لأمته.

ثانيا: من فضائل الإحسان إلي اليتيم في الآخرة:

المُحسن إلى اليتيم يوم القيامة من أسعد خلق الله تعالى واليك بعض المنح الربانية:

١- في ظل عرش الرحمن:

قَالَ دَاوُد عَلَيْه السَّلاَم في مناجاته: "إلهي مَا جَزَاء من أسعد الْيَتيم والأرملة ابْتغَاء وَجهك قَالَ: جَزَاؤُهُ أَن أظلهُ في ظلّي يَوْم لاَ ظل إلاَّ ظلّي مَعْنَاهُ ظل عَرْشي يَوْم الْقِيَامَة". الكبائر للذهبي (٦٨/١).

٢- تخطي عقبة يوم القيامة:

- قال تعالى: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) (البلد: ١١- ١٥).

ما هي العقبة؟ من أهل العلم من قال: هي عقبة يوم القيامة، ومن العلماء من حملها على الصراط، فالمؤمن يتجاوزه ويمر عليه، والصراط عقبة أيضاً، والكافر يسقط فيه، والناس يمرون عليه بحسب الأعمال، فهذا قول قوي. سلسلة التفسير مصطفى العدوى (٩/٩٣).

- فمن أحسن إلى يتيم تخطى عقبة من عقبات يوم القيامة.

٣- حجاب من النار:

ذكر الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الأدب المفرد (٤٧/١) باب فضل من يعول يتيما له:

عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» صحيح البخاري (٥٩٩٥)، صحيح مسلم (٢٦٢٩).

٤- سباق نحو الجنة:

- أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى (١٢٦٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ مَنْ أَنْتِ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ تَأَيَّمْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي».

رُوَاتُهُ لاَ بَأْسَ بِهِمْ، وَقَوْلُهُ تُبَادِرُنِي أَيْ لِتَدْخُلَ مَعِي أَوْ تَدْخُلَ في أثري وَيحْتَمل أَن يكون المُرَاد مَجْمُوع الأَمْرَيْنِ سُرْعَة الدُّخُول وَعُلُوّ الْمنْزلَة. فتح الباري (٤٣٦/١٠).

٥- مع النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في الجنة:

عن سَهْل بْن سَعْد، عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. رواه البخاري (٦٠٠٥)، ومسلم (٢٩٨٣).

أ- كفالة اليتيم هي القيام بما يُصلحه في دينه ودنياه، بما يُصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يُصلحه في دُنياه من الطعام والشراب والمسكن. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣١١/١).

ب- حق على كل مؤمن يَسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به ليكون في الجنة رفيقًا للنبي عليه السلام ولجماعة النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٧/٩).

- قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٦٩).

٦- نعيم الجنة:

قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (الإنسان: ٥- ١٢).

من جملة أعمالهم إطعام الأيتام لوجه الله تعالى، فكانت لهم السعادة والمتعة من أمن وطعام وشراب وحور عين.

التحذير والترهيب من الإساءة للأيتام:

١- قال تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) (الفجر: ١٧)؛ لا تُكرِمُونَ الْيَتيمَ الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه. فأنتم لا تكرمونه بل تُهينونه وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة

في الخير. تفسير السعدي (٩٢٣/١).

٢- قال تعالى: (فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى: ٩).

«فَلا تَقْهَرْ» أي: لا تُسئ مُعاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تَنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تُحب أن يُصنع بولدك من بَعدك. تفسير السعدي (٩٢٨/١).

٣- قال تعالى: (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ)(الماعون: ١-٢).

«أرَأيْتَ الذي يُكَذِبُ بالدين»:

أ- استفهام للتعجب والتشويق، أي هل عرفت الذي يُكذب بالجزاء والحساب في الآخرة؟ هل عرفت من هو، وما هي أوصافه؟ إن أردت أن تعرفه «فَذَلكَ الذي يَدُعُّ اليتيم» أي فذلك هو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً بجفوة وغلظة، ويقهره ويظلمه ولا يُعطيه حقه. صفوة التفاسير للصابوني (٥٨٢/٣).

٤- قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠):

أ- هَذه الآيَةَ مُفْرَدَةٌ في وَعيد مَنْ يَأْكُل أَمْوَالَهُمْ، وَذَلكَ كُلُّهُ رَحْمَةٌ منَ الله تَعَالَى بالْيَتَامَى لأَنَّهُمْ لكَمَال ضَعْفهمْ وَعَجْزهمُ اسْتَحَقُّوا منَ الله مَزيدَ الْعنَايَة وَالْكَرَامَة، وَمَا أَشَدَّ دَلالَةَ هَذَا الْوَعيد عَلَى سَعَة رَحْمَته وَكَثْرَة عَفْوه وَفَضْله، لأَنَّ الْيَتَامَى لَمَّا بَلَغُوا في الضَّعْف إلَى الْغَايَة الْقُصْوَى بَلَغَتْ عنَايَةُ الله بهمْ إلَى الْغَايَة الْقُصْوَى. مفاتيح الغيب للرازي (٥٠٦/٩)

ب- فمَنْ أكلها ظلمًا فـ «إنما يَأْكُلُونَ في بُطُونهمْ نَارًا» أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. «وَسَيَصْلَوْنَ سَعيرًا» أي: نارًا محرقة متوقدة. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية. تفسير السعدي (١٦٥/١).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنبُوا السَّبْعَ المُوبقَات»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ باللَّه، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْس الَّتي حَرَّمَ اللَّه إلاَّ بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَال اليَتيم، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْف، وَقَذْفُ المُحْصَنَات المُؤْمنَات الغَافلاَت» البخاري (٢٧٦٦)، مسلم (١٤٥).

- المُوبقَات أي المهلكات جمع موبقة. سُميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مُرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب. مرعاة المفاتيح لعبيد الله المباركفوري (١٢٤/١).

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعيفَيْنِ: الْيَتيم وَالْمَرْأَة" صحيح ابن ماجه (٢٩٦٧) معنى «أُحَرِّجُ»: أُلْحقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإثْمُ بمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ منْ ذلكَ تَحْذيرًا بَليغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجرًا أكيدًا. فيض القدير للمناوي (٢٧/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بالرماية فيصل، تحت إشراف إدارة الجمعيات بمديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة الجيزة، برقم ٥٩٠٥، لسنة ٢٠١٦م.

والله الموفق.

نظرات
في سيرة الرسول
صلى الله عليه وسلم

موقف إيماني في فقه الدعوة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد.

فإن السيرة النبوية غنية وثرية، بالمواقف النبيلة، والسلوكيات الجليلة، من خير البرية، وأزكى البشرية، ذلك الرجل الذي أسر بعظيم فعاله قلوب محبيه، وملأ بكريم خصاله فراغ مريديه.

إنّ الذين عاشروا محمدًا صلى الله عليه وسلم أحبّوه حبًّا شديدًا، وما يبالغون أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر. وما أحبّوه كذلك إلا لأنّ أنصبته من الكمال لم يرزق بمثلها بشر.

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

ذكر الواقدي في مغازيه (١٢٥/١) قال: عَنْ عَاصِم بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: لمّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ إلَى مَكّةَ وَقُتِلَ صَنَادِيدُهُمْ وأشرافهم، أقبل عمير ابن وَهْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الجُمَحِيّ حَتّى جَلَسَ إلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ: قَبّحَ اللّهُ الْعَيْشَ بَعْدَ قَتْلَى بَدْرٍ. قَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ: أَجَلْ وَاَللّهِ، مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ، وَلَوْلَا دَيْنٌ عَلَيّ لَا أَجِدُ لَهُ قَضَاءً، وَعِيَالٌ لَا أَدَعُ لَهُمْ شَيْئًا، لَرَحَلْت إلَى مُحَمّدٍ حَتّى أَقْتُلَهُ إنْ مَلَأْتُ عَيْنَيّ مِنْهُ. فَإِنّهُ بَلَغَنِي أَنّهُ يَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، فَإِنّ لِي عِنْدَهُمْ عِلّةً، أَقُولُ: قَدِمْت عَلَى ابْنِي هَذَا الْأَسِيرِ. فَفَرِحَ صَفْوَانُ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا أَبَا أُمَيّةَ، وَهَلْ نَرَاك فَاعِلًا؟ قَالَ: إي وَرَبّ هَذِهِ الْبَنِيّةِ! قَالَ صَفْوَانُ: فَعَلَيّ دَيْنُك، وَعِيَالُك أُسْوَةُ عِيَالِي، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنّهُ لَيْسَ بِمَكّةَ رَجُلٌ أَشَدّ تَوَسّعًا عَلَى عِيَالِهِ مِنّي).

وهكذا يظهر حنق أعداء الإسلام على المسلمين وقائدهم ورمز وحدتهم وقوتهم رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأنهم يتحملون في سبيل ذلك الأموال والنفقات والمجازفة بالأرواح، وهنا تتكشف بعض معالم الجاهلية من التعصب الأعمى لما هم عليه من الباطل، لأن وجودهم وكيانهم متعلق ببقاء هذا الباطل، من أجل هذا يستميتون في الدفاع عن هذا الباطل.

قال:(فَحَمَلَهُ صَفْوَانُ عَلَى بَعِيرٍ وَجَهّزَهُ، وَأَجْرَى عَلَى عِيَالِهِ مِثْلَ مَا يُجْرِي عَلَى عِيَالِ نَفْسِهِ. وَأَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشُحِذَ وَسُمّ، ثُمّ خَرَجَ إلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِصَفْوَانَ: اُكْتُمْ عَلَيّ أَيّامًا حَتّى أَقْدَمَهَا. وَخَرَجَ فَلَمْ يَذْكُرْهُ صَفْوَانُ، وَقَدِمَ عُمَيْرٌ فَنَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، وَأَخَذَ السّيْفَ فَتَقَلّدَهُ. ثُمّ عَمَدَ نَحْوَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَنَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَتَحَدّثُونَ وَيَذْكُرُونَ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْهِمْ فِي بدر، فرأى عميرًا وعليه السيف، فَفَزِعَ عُمَرُ مِنْهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: دُونَكُمْ الْكَلْبَ! هَذَا عَدُوّ اللّهِ الّذِي حَرّشَ بَيْنَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ (أي قدّر عددنا

وأخبرهم به)، وَصَعَدَ فينَا وَصَوَّبَ، يُخْبِرُ قُرَيْشًا أَنَّهُ لاَ عَدَدَ لَنَا وَلاَ كَمِينَ. فَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَخَذُوهُ).

وهذه فراسة صادقة من عمر وهو الذي اشتهر بالإلهام والتوفيق في الفراسة ؛ فقد قرأ في وجه عمير بن وهب وهو قادم أنه لم يقدم مهتديًا وانما قدم معتديًا، وخرج من مكة إلى المدينة وهو يحمل في قلبه إطفاء هذا السراج المنير، والمشعل الوهاج الذي أنار الله تعالى به جنبات الأرض، «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة: ٣٢).

قال: فَانْطَلَقَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ، قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَعَهُ السِّلاحُ، وَهُوَ الْغَادِرُ الْخَبِيثُ الَّذِي لا نَأْمَنُهُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَدْخِلْهُ عَلَيَّ! فخرج عمر فأخذ بحمالة سَيْفِهِ فَقَبَضَ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ بِيَدِهِ الأُخْرَى قَائِمَةَ السَّيْفِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يا عُمَرُ، تَأَخَّرْ عَنْهُ!

وان المرء ليعجب من هذه الثقة النبوية بحفظ الله سبحانه لنبيه، فيأمر بإدخال عمير عليه مع أنه من ألد أعدائه وقد جاء متقلدًا سيفه، ولم يأمر بتقييده، ولا بإهانته وتعذيبه، ولا بنزع سلاحه وتأنيبه، وهذه منتهى الجرأة من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم الذي يثق بربه غاية الثقة ويتوكل عليه حق التوكل.

> **النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتمل أن يسمع ويرى شعارًا من شعارات الجاهلية يزاحم شعارات أهل الإسلام، لأن معالم الجاهلية يجب أن تندثر ويحل محلها معالم أهل الإسلام الظاهرة.**

وفي قول النبي صلي الله عليه وسلم لعمر وقد أرعب الرجل بشدته عليه :"يا عمر؛ تأخرْ عنه" انفراجة وتنفيس عنه فشعر بالملاطفة الحانية من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وهو يقول له :" ادنُ يا عمير"، ورأى المعاملة السامية منه حتى مع الأعداء الذين ظهرت بوادر كيدهم ومحاولة الغدر منهم، وما ذلك الخلق بغريب على النبي صاحب المقام الرفيع والخُلق البديع؛ وهو الذي أخذ بمجامع القلوب، وأرغم أعداءه على التواضع له؛ لا بقوة السلطان؛ وإنما برقة الجنان وعذوبة البيان.

وإن عمر رضي الله عنه بدوره فقد عبأ المسلمين بالمسجد باحتياطات أمنية، حذرًا من حدوث مفاجأة لا يصلح أن تحدث في وجود هؤلاء الأبطال حول سيد الرجال صلي الله عليه وسلم.

(فَلَمَّا دَنَا عُمَيْرٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَنْعِمْ صَبَاحًا! - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ عَنْ تَحِيَّتِكَ وَجَعَلَ تَحِيَّتَنَا «السَّلامَ»، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ عُمَيْرٌ: إِنَّ عَهْدَكَ بِهَا لَحَدِيثٌ (أي: كنا نلقي عليك هذه التحية قريبًا)، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَبْدَلَنَا اللَّهُ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا).

وهنا وقفة عظيمة؛ وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتمل أن يسمع ويرى شعارًا من شعارات الجاهلية يزاحم شعارات أهل الإسلام، لأن معالم الجاهلية يجب أن تندثر ويحل محلها معالم أهل الإسلام الظاهرة، وأن يقوم المسلمون بالنكير عليها حتى لا تنتشر وتكون عرفًا سائدًا يومًا من الأيام.

ثم إن النبى صلي الله عليه وسلم لم يتنازل أو يتهاون في تثبيت معلم الإسلام الظاهر، وكان بإمكانه أن يفعل ما يتصوره بعض الدعاة في هذا العصر من التركيز على الأولويات وترك ما يزعمون أنه من سفاسف الأمور. «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» (الأحزاب: ٢١).

(فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:" فَمَا أَقْدَمَكَ يَا عُمَيْرُ؟ قَالَ: قَدِمْتُ في أسيري عندكم فأحسنوا فيه، فَإِنَّكُمُ الْعَشِيرَةُ وَالأَهْلُ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا بَالُ

السَّيْف؟ قَالَ: قَبَّحَهَا اللّٰه مِنْ سُيُوفٍ، وَهَلْ أَغْنَتْ مِنْ شَيْءٍ؟ وَإِنَّمَا نسيته حِينَ نَزَلَتْ وَهُوَ ‌في رَقَبَتِي، وَلَعَمْرِي إِنَّ لِي لَهَمًا غَيْرَه! فَقَالَ له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: اُصْدُقْ، مَا أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: مَا قَدِمْتُ إِلَّا ‌في أَسِيرِي!).

لقد كان عمير يخفي ‌في نفسه سرًّا خطيرًا؛ إنه يريد أن يطفئ هذه الشعلة الوهاجة والسراج المنير الذي هدى اللّٰه به قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًا. وملأ اللّٰه به الأرض عدلاً وقسطًا، بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.

(قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ‌في الْحِجْرِ؟

فَفَزِعَ عُمَيْرٌ فَقَالَ: مَاذَا شَرَطْتُ لَهُ؟ قَالَ: تحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِي عَلَى أَنْ يَقْضِيَ دَيْنَكَ وَيَعُولَ عِيَالَكَ، وَاللّٰه حَائِلٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ عُمَيْرٌ: "أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّٰه وَأَنَّكَ صَادِقٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰه! كُنَّا يا رسول اللّٰه نكذبك بِالْوَحْيِ وَبِمَا يَأْتِيكَ مِنْ السَّمَاءِ. وَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَفْوَانَ كَمَا قُلْتَ، فَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، وَقَدْ أَمَرْتُه أَنْ يَكْتُمَ عَنِّي لَيَالِيَ مَسِيرِي فَأَطْلَعَكَ اللّٰه عَلَيْهِ، فَآمَنْتُ بِاللّٰه وَرَسُوله، وَشَهِدْتُ أَنَّ مَا جِئْتَ بِه حَقٌّ، الْحَمْدُ لِلّٰه الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ"!

وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ هَدَاهُ اللّٰه.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ: لَخِنْزِيرٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حِينَ طَلَعَ، وَهُوَ السَّاعَةَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ وَلَدِي. فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلِّمُوا أَخَاكُمْ الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ".

> لقد أشرق قلب عمير بالإسلام وامتلأت به جوانبه وجوانحه، بعد أن رأى رأي العين سهولة هذا الدين وبساطته وصدقه، وصدق رجاله ونقاء شهامتهم ورجولتهم، ورأى كرم الضيافة والإحسان إلى الأسير.

انظر أخي إلى الحب حين يكون ‌في اللّٰه، لقد أشرق قلب عمير بالإسلام وامتلأتْ به جوانبُه وجوانحُه، بعد أن رأى رأي العين سهولة هذا الدين وبساطته وصدقه، وصدق رجاله ونقاء شهامتهم ورجولتهم، ورأى كرم الضيافة والإحسان إلى الأسير، رأى الطهر والعفاف، دون مكر وإسفاف، رأى إخوانه الذين كانوا أبغض الناس إليه، وهو أبغض الناس إليهم يصير ‌في لحظة أحب إليهم من بعض أولادهم. إنه الدخول ‌في هذا الدين المتين، بغير تكلف ولا تعسف ولا سلوك المنافقين.

رأى كلامًا حانياً صادقًا والرحمة واللين، من نبي الصدق الصادق الأمين، فسرى هذا الكلام ‌في قلبه سريان الماء ‌في الأعواد اليابسة، فعاد حيًّا بعد الموت كما يعود النبات أخضر يهتز بالحياة؛ فأعلن إسلامه.

وبعد أن ذاق طعم الإيمان؛ ووجد حلاوته، سمت روحه نحو الآفاق العالية والمنازل السامية، فكان إيمانه سريع النمو فأقدم على المطلب العالي الخطير الذي ربما شكَّل خطرًا على حياته، حين يذهب إلى قومه الذين كانوا معه وكان معهم ‌في السراء والضراء، والذين كانوا يؤملون ‌في أن يقصم ظهور المسلمين ويكسر شوكتهم بقتل سيدهم وزعيمهم، ورمز عزهم وقوتهم، فإذا به يعود مؤمنًا بهذا الدين الذي يحاربونه، والذي كان قد ذهب من أجل القضاء عليه، فإذا به يدعوهم لهذا الدين، ويرفع راية الموحدين، ويعلن عليهم أجمعين؛ لا إله إلا اللّٰه رب العالمين، محمد رسول اللّٰه وخاتم الأنبياء والمرسلين.

فَقَالَ عُمَيْرٌ: يَا رَسُولَ اللّٰه، إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللّٰه، فَلَهُ الْحَمْدُ أَنْ هَدَانِي، فَائْذَنْ لِي فَأَلْحَقَ قُرَيْشًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللّٰه وَإِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَعَلَّ اللّٰه يَهْدِيهِمْ وَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ الْهَلَكَةِ.

فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْ عُمَيْرٍ كُلَّ رَاكِبٍ يَقْدَمُ مِنْ الْمَدِينَةِ وَيَقُولُ: هَلْ حَدَثَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ حَدَثٍ؟ وَيَقُولُ لِقُرَيْشٍ: أَبْشِرُوا بِوَقْعَةٍ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ. فَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ صَفْوَانُ عَنْ عُمَيْرٍ فَقَالَ: أَسْلَمَ.

فَلَعَنَهُ صَفْوَانُ وَلَعَنَهُ الْمُشْرِكُونَ بِمَكّةَ وَقَالُوا: صَبَأ عُمَيْرٌ! فَحَلَفَ صَفْوَانُ ألاّ يُكَلِّمَهُ أبَدًا وَلا يَنْفَعَهُ، وَطَرَحَ عِيَالَهُ. وَقَدِمَ عُمَيْرٌ عَلَيْهِمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَدَعَاهُمْ إلَى الإسْلامِ وَخَبّرَهُمْ بِصِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأسْلَمَ مَعَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ).

(وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: لمّا قَدِمَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ نَزَلَ فِي أَهْلِهِ وَلَمْ يَقْرَبْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَأَظْهَرَ الإسْلامَ وَدَعَا إِلَيْهِ، فَبَلَغَ صَفْوَانَ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ حِينَ لَمْ يَبْدَأْ بِي قَبْلَ مَنْزِلِهِ، وَإِنَّمَا رَحَلَ مِنْ عِنْدِي، أَنَّهُ قَدْ ارْتَكَسَ، وَلاَ أُكَلِّمُهُ مِنْ رَأْسِي أَبَدًا، وَلاَ أَنْفَعُهُ وَلاَ عِيَالَهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا).

وهذا مثل من أمثلة التعصب الأعمى، والانتماء البغيض الذي يُعمي ويُصم، نحو المبادئ الموروثة من غير إعمال عقل، أو تدبر فكر فيما يراه، ومدى موافقته للحق أو مخالفته إياه. فكان النظر السليم يقتضي من صفوان أن يفكر مليًا في العاقبة التي آل إليها أمر صاحبه عمير بن وهب وقد ضحى بسداد ديونه، والنفقة على عياله، فما الذي دفعه إلى ذلك؟ لكنها ﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

(فَوَقَفَ عَلَيْهِ عُمَيْرٌ، وَهُوَ فِي الحِجْرِ، فَقَالَ: أَبَا وَهْبٍ! فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَيْرٌ: أَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، أَرَأَيْتَ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ وَالذَّبْحِ لَهُ، أَهَذَا دِينٌ؟ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَلَمْ يُجِبْهُ صفوان بكلمة. (إمتاع الأَسماع (١٧٢/١٢) لتقي الدين المقريزي ت ٨٤٥هـ).

عاقبة صفوان بن أمية:

روى أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بْن عَلِيٍّ أن صفوان بن أمية قُتل أبوه أمية بْن خلف يَوْم بدر كافرًا، ولما فتح رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مكة، هرب صفوان بْن أمية إلى جدة، فأتى عمير بْن وهب بْن خلف، وهو ابن عم صفوان، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه ابنه وهب بْن عمير، فطلبا له أمانًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه، وبعث إليه بردائه، أو ببردة له، وقيل: بعمامته التي دخل بها مكة أمانًا له، فأدركه وهب بْن عمير، فرجع معه، فوقف عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وناداه في جماعة من الناس: يا مُحَمَّد، إن هذا وهب بْن عمير، يزعم أنك أمنتني عَلَى أن لي مسير شهرين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ: انزل أبا وهب. فقال: لا حتى تبين لي. فقال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: انزل ولك مسير أربعة أشهر. فنزل، وسار مع رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إلى حنين، واستعار منه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ سلاحًا، فقال: طوعًا أو كرهًا، فقال: "بل طوعًا عارية مضمونة". فأعاره، وشهد حنينًا كافرًا.

فلما انهزم المسلمون قال كلدة بْن الحنبل، وهو أخو صفوان لأمه: ألا بطل السحر! فقال صفوان: اسكت، فضّ الله فاك، فو الله لأن يربني (يرأسني) رَجُل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. يعني عوف بْن مالك النضري زعيم هوازن، ولما ظفر المسلمون أعطاه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْم حنين.

عَن الزُّهْرِيّ، عن سعيد بن الْمُسَيِّب، عَنْ صَفْوَانَ، أَنَّهُ قَالَ: «أَعْطَانِي رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» رواه أحمد والترمذي.

ولما رَأى صفوان كثرة ما أعطاه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قال: والله ما طابَتْ بهذا إلا نفسُ نبيٍّ، فأسلم. وكان من المؤلفة، وحسن إسلامه وأقام بمكة، فقيل له: من لم يهاجر هلك، ولا إسلام لمن لا هجرة له: فقدم المدينة مهاجرًا، فنزل عَلَى العباس بْن عبد المطلب، فذكر ذَلِكَ لرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا هجرة بعد الفتح. وقال: عَلَى من نزلت؟ فقال: على العباس. فقال: نزلت عَلَى أشد قريش لقريش حبًّا.

ثم قال له: ارجع أبا وهب إلى أباطح مكة، فقروا عَلَى سكناتكم". فرجع إليها، وأقام بها حتى مات. أسد الغابة (٤٠٦/٢).

فانظروا كيف تصنع أخلاق الإسلام السامية، مع القلوب المتحجرة المستعصية.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩٠)

قصة قبض مَلك الموت لروح إدريس (عليه السلام) في السماء

نواصل في هذا العدد تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وانتشرت في كتب التفاسير، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / **علي حشيش**

أولاً: متن القصة:

رُوي عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر، فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: «وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا» (مريم:٥٧)؟ قال كعب: «أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كل يومٍ مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً. فأتاه خليل له من الملائكة، فقال له: إن الله أوحى إليَّ كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً؟ فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة، تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال ملك الموت: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري. قال ملك الموت: فالعجب بُعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك؛ فذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا» (مريم:٥٧)».

ثانيًا: التخريج:

أخرج الخبر الذي جاءتْ به هذه القصةُ شيخُ المفسرين الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ) في تفسيره المسمى «جامع البيان» (٣٨٨/٨) (ح٢٣٧٦٨) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» (مريم:٥٧). قال كعب.. القصة.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة خبرٌ باطل؛ لما فيه من علل:

الأولى: التدليس:

مما أوردناه آنفًا من التخريج يتبين أن هذا الخبر من طريق جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية به.

١- وسلمان بن مهران الأعمش مدلس، ولقد بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٦٤٠/٢)، فقال: «من أكثروا من التدليس وعُرفوا به وهم: فذكرهم في خمسة وثلاثين مدلسًا منهم سليمان الأعمش».

٢- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥١٧/٢٢٤/٢): «سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي الأعمش ما نقموا عليه إلا التدليس». اهـ.

٣- وذكر الذهبي عن الجوزجاني قال: «قال وهب بن زمعة المرزوي: سمعت ابن المبارك يقول: إنما أفسد حديث أهل الكوفة أبو إسحاق،

والأعمش». اهـ.

٤- وقال الذهبي: «الأعمش يدلس، وربما يدلس عن ضعيف ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا، فلا كلام، ومتى قال: عن، تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وأبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال». اهـ.

عدم انطباق هذه القاعدة على هذا الخبر:

فإبراهيم هو ابن يزيد النخعي، وأبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدي، وأبو صالح السمان: هو ذكوان أبو صالح السمان، ورواية الأعمش عنهم محمولة على الاتصال. فهذه القاعدة لم تنطبق على الخبر الذي جاءت به هذه القصة؛ حيث تبين من التخريج أن سليمان الأعمش لم يرو هذا الخبر عن أحد من هؤلاء الثلاثة، ولكنه رواه عن شمر بن عطية، ولم يصرح فيه بالسماع بل عنعن، قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٣): «وحكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلاً ألا يقبل منه إلا ما صرَّح فيه بالتحديث على الأصح». اهـ.

٥- ومن دقيق فقه الصناعة الحديثية في التدليس وما يتعلق بالأعمش؛ ما كان من رواية شعبة عن سليمان الأعمش، ففي طبقات المدلسين للحافظ ابن حجر (ص٨٨) نقل الحافظ عن البيهقي قوله في «المعرفة» (١٥١/١) الأثر (٢٠٣): «وروينا عن شعبة أنه قال: كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة».

قال الحافظ ابن حجر عقب إيراده لهذا القول: «فهذه قاعدة جيدة في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعنة».

عدم انطباق هذه القاعدة على هذا الخبر فلقد تبين من تخريج الخبر الذي جاءت به هذه القصة أنه لم يكن من رواية شعبة عن الأعمش، ولكنه من رواية جرير بن حازم عن الأعمش، وبتطبيق هذه القواعد الثلاثة تصبح رواية الأعمش لهذا الخبر مردودة لتدليسه:

١- لأنه عنعن ولم يصرح بالسماع؛ كما هو مبين من التخريج.

٢- هذا الخبر لم يكن من رواية الأعمش عن شيوخه الذين أكثر عنهم كما بينا آنفًا.

٣- هذا الخبر لم يكن من رواية شعبة عن الأعمش، كما بينا آنفًا.

وبعدم توافر هذه الشروط كما هو مبين في قواعد أئمة الجرح والتعديل يصبح هذا الخبر فاسدًا كما هو مبين من قول ابن المبارك أيضًا.

العلة الأخرى:

لقد بين هذه العلة الإمام الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٤٨/٥) للآية (٥٧) من سورة مريم في قوله تعالى: «ورفعناه مكانًا عليًا»، فقال: «قد روى ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا فقال: حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب، أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر، فقال: «ما قول الله عز وجل لإدريس: «ورفعناه مكانًا عليًا»؟ فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه...» القصة.

قال الإمام الحافظ ابن كثير: «هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات وفي بعضه نكارة». اهـ.

قلت:

١- لقد بيَّن الحافظ ابن كثير هذا الأثر الذي جاءت به هذه القصة؛ حيث قال في صدره: «إنه أثر غريب عجيب»، ثم قال في عجزه: «هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة». اهـ.

٢- وهذا يدل على إتقان الحافظ ابن كثير لهذا الفن؛ حيث قال الذهبي في «المختصر»: «الحافظ ابن كثير: الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متقن محدث متقن، ولذلك قال السيوطي في «ذيل طبقات الحفاظ» (ص٣٦٢): «الحافظ ابن كثير: هو العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلاً». اهـ.

٣- وقول الإمام الحافظ ابن كثير عن هذا الأثر الذي جاءت به القصة: «أثر غريب عجيب» قول محدث متقن له معناه كما بينه الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢) حيث ذكر أقوال الأئمة:

أ- قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء».

ب- وقال الإمام مالك: «شرُّ العلم الغريب».

جـ- وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب».

قلت: من أقوال هؤلاء الأئمة الأعلام يتبين معنى قول الإمام الحافظ ابن كثير: «هذا أثر غريب عجيب».

٤- قول الإمام الحافظ ابن كثير عن هذا الأثر الذي جاءت به هذه القصة: «من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة».

يتبين منه الآتي:

أ- أنه لا أصل له في المرفوع.

ب- فمدار هذا الأثر يرجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل.

جـ- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/٢٥٧): «مثل هذا لا يجوز أن تبنَى عليه الشريعة، ولا يحتج به في بعض الدين باتفاق المسلمين، فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا تعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ممن ينقل أخبار (المبتدأ، وقصص المتقدمين) عن أهل الكتاب لم يجز أن يُحتَجَّ بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين». اهـ.

د- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٥/١٥١): «ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوءة من أهل الكتاب، النصارى واليهود، فكان من أكثرهم حديثًا عن أهل الكتاب كعب الأحبار، وقد قال معاوية رضي الله عنه: «ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب، وإن كنا لنبلو عليه الكذب أحيانًا، ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وجده في كتبهم، ولو نقل ناقل ما وجده في الكتب عن نبينا صلى الله عليه وسلم لكان فيه كذب كثير، فكيف بما في كتب أهل الكتاب مع طول المدة، وتبديل الدين، وتفرق أهله وكثرة أهل الباطل فيه، وهذا باب ينبغي للمسلم أن يعتني به، وينظر ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أعلم الناس بما جاء به، وأعلم الناس بما يخالف ذلك من دين أهل الكتاب والمشركين، والمجوس، والصابئين، فإن هذا أصل عظيم». اهـ.

م- قلت: وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من قول معاوية رضي الله عنه في كعب الأحبار أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٧٣٦١) قال: «وقال أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرنا حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب». اهـ.

ن- فائدة حديثية:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٣٤٦):

«قوله: (وقال أبو اليمان) كذا عند الجميع، ولم أره بصيغة حدثنا، وأبو اليمان من شيوخه، فإما أن يكون أخذه عنه مذاكرة، وإما أن يكون ترك التصريح بقوله: حدثنا لكونه أثرًا موقوفًا، ويحتمل أن يكون مما فاته سماعه، ثم وجدت الإسماعيلي أخرجه عن عبد الله بن العباس الطيالسي عن البخاري قال: حدثنا أبو اليمان. ومن هذا الوجه أخرجه أبو نعيم، فذكره، فظهر أنه مسموع له، وترجح الاحتمال الثاني، ثم وجدت في التاريخ الصغير للبخاري قال: حدثنا أبو اليمان». اهـ.

قلتُ: لذلك قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (١/٦٣): «وبما تقدم تأيد حمل قول البخاري: ما أدخلت في كتابي إلا ما صح» على مقصوده به، وهو الأحاديث الصحيحة المسندة دون التعاليق والآثار الموقوفة على الصحابة فمن بعدهم والأحاديث المترجم بها، ونحو ذلك.

هـ- قوله: «من أصدق هؤلاء المحدثين»: قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/٣٤٦): «والمراد بالمحدثين: أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها». اهـ.

و- قوله: «وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب». نقل الحافظ ابن الجوزي أنه قال: «المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا، لا أنه يتعمد الكذب». اهـ.

ي- قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٨/٣٩٣): كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وقال: كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان وفيها أرضه غير واحد. ثم نقل

عن ابن حبان أنه قال: «قد بلغ مائة وأربع سنين». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦٤٨/٥): «والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر رضي الله عنه». اهـ.

رابعًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا أن قصة «قبض ملك الموت لروح إدريس عليه السلام في السماء الرابعة»:

١- قصة واهية خبرها فاسد؛ لتدليس الأعمش، ولم يصرح بالسماع كما بينا آنفًا مع توافر الشروط التي تجعل رواية الأعمش لا تقبل عند العنعنة.

٢- وهذه القصة من الغرائب العجيبة المنكرة كما بينا من أقوال الأئمة آنفًا.

٣- وأن هذه القصة لا أصل لها في المرفوع، بل هي من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ولم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين. كما بينا من أقوال الأئمة آنفًا حول هذه الإسرائيليات المنكرة.

٤- وأن مدار الخبر الذي جاءت به القصة يرجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، ولقد بينا من الخبر الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من قول معاوية رضي الله عنه: « وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْه الْكَذِبَ»، أي: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا؛ لا أنه يتعمد الكذب، كما بينا من أقوال الأئمة، وانطباق ذلك على هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الغريبة العجيبة.

خامسًا: وظيفة الملك الذي حمل إدريس عليه السلام بين جناحيه:

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٣٦/١٠) (ح٣٢٤٨١) عن ابن عباس قال: سألت كعبًا عن رفع إدريس مكانًا عليًّا فقال: «أما رفع إدريس مكانًا عليًا، فكان عبدًا نقيًّا، يرفع له من العمل الصالح ما يرفع لأهل الأرض في أهل زمانه، قال: فعجب الملك الذي كان يصعد عليه عمله، فاستأذن ربه إليه، قال: رب ائذن لي إلى عبدك هذا فأزوره فأذن له فنزل، فقال: يا إدريس، أبشر فإنه يُرْفع لك من العمل الصالح ما يرفع لأهل الأرض، قال: وما علمك؟ قال: إني مَلك، قال: وإن كنت ملكًا، قال: فإني على الباب الذي يصعد عليه عملك، قال: أفلا تشفع لي إلى ملك الموت فيؤخر من أجل أزداد شكرًا وعبادة؟ قال الملك: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، قال: قد علمت ولكنه أطيب لنفسي، فحمله الملك على جناحه فصعد به إلى السماء، فقال: يا ملك الموت، هذا عبد تقي نبي يُرفع له من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض، وإنه أعجبني ذلك، فاستأذنْتُ إليه ربي، فلما بشرته بذلك سألني لأشفع له إليك لتؤخر من أجله فيزداد شكرًا وعبادة لله، قال؟ ومن هذا؟ قال: إدريس فنظر في كتاب معه حتى مر باسمه، فقال: والله ما بقي من أجل إدريس شيء، فمحاه فمات مكانه». اهـ.

قلت: رحم الله الإمام الحافظ ابن كثير الذي بيَّن لنا أن هذه القصة خرافةٌ إسرائيلية عندما قال: «هذا أثر غريب عجيب من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات وفي بعضه نكارة». اهـ.

سادسًا: وظيفة الملك الذي حمل إدريس عليه السلام فيما أورده القرطبي:

لقد أورد الإمام القرطبي في «تفسيره» (١٠٨/٦) قصة المَلك الذي حمل إدريس عليه السلام على جناحه قال: «وكان سبب رفعه ما قال كعب: إن إدريس عليه السلام سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب، أنا مشيت يومًا فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خَفف عنه من ثقلها، يعني الملك الموكل بفلك الشمس، واحمل عنه من حرِّها، فلما أصبح المَلك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف، فقال: يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه؟ فقال الله تعالى: أما إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بينه وبينه خُلَّة، فأذن الله له حتى أتى إدريس..» القصة.

قُلْتُ: انظر في متن القصة عند الطبري: «فأتاه خليل له من الملائكة». اهـ. رحم الله ابن كثير في تحقيقه لهذا الخبر قال: هذا أثر غريب عجيب من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات المنكرة». اهـ.

قلت: ويغني عن هذه الغرائب المنكرة والإسرائيليات الباطلة، ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث مالك بن صعصعة المتفق عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة
(٢٤)

جميع من صنَّفوا من أهل السنة في أمور الاعتقاد لاسيما ما تعلق منها بباب الصفات، على: التمسك بظواهر النصوص والتحذير من مخالفتها.. كونها - دون العقل - هي: مصدر التلقي

إعداد/ **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن من أعظم ما أصاب المسلمين في معتقدهم في (توحيد الله في صفاته) مذ ظهرت بدعة الجهمية، هي: شبهة: تأويل نصوصه واعتقاد أن ظواهر هذه النصوص مما يتنافى مع العقل، أو مما لا يجوز نسبته إلى الله، وهي بعدُ لا تعدو أن تكون فتنة جعلت الأمة فرقاً وشيعاً، "ولا ينجّي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في دقّ الدين وجُله، ظاهره وباطنه، عقائده، وأعماله، حقائقه، وشرائعه.

فيُتلقى عنه حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يُثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه، كما يُتلقى عنه وجوب الصلوات، وأوقاتها، وأعدادها، ومقادير نُصُب الزكاة، ومستحقيها، ووجوب الوضوء، والغسل من الجنابة وصوم رمضان، فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول الله في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهُدى كله دائر في أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد المتلقي قلبه على ذلك وأعرض عما سواه ووزنه بما جاء به الرسول، فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه..

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي: من عمًى في البصيرة، وفساد في الإرادة"، كذا في (إغاثة اللهفان) ص٤٣١..

ولأنه لا سبيل لرد هذه الألوان من الفتن إلا بما ذكرنا من تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في كل شيء، كان تضافر أئمة العلم واختلاف عباراتهم في كل ما صنفوه من كتب الاعتقاد - لاسيما ما تعلق منها بـ (توحيد الصفات) - على التأكيد على هذا الأصل.

أئمة السنة في تصانيفهم في (توحيد الصفات).. على اتباع ظواهر النصوص، خلافاً للأشاعرة:

ونذكر من هذا قول العالم الزاهد سهل التستري فيما نقله عنه الهروي في (ذم الكلام وأهله) ٤/٣٧٨: "ما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة".. وقول الإمام أحمد في أول كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة): "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل: بقايا من أهل العلم يدعُون من ضل إلى الهُدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبَصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيَوه، وكم من تائه هَدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب يقولون على الله، وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهّال الناس بما يشبّهون عليهم".

إلى أن قال بعد أن ذكر من الصفات ما ذكر: "فرحم الله مَن عَقَل عن الله ورجع عن القول

الذي يخالف الكتاب والسنة، وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والأنصار، وترك دين الشيطان ودين جهم وشيعته.

وفي آخر كتابه عن (الصفات) ساق الدارقطني جملة من أقوال أئمة السلف كلها تنص على التسليم والأخذ والتحدث بالنصوص وإمرارها على ظواهرها، كونها كما في العلو للذهبي ص١٨٣، ١٩٢: بينة واضحة في اللغة، لا يجوز صرفها إلى المجاز بنوع من التأويل.. وبعد ذكره الأخبار عن بدء الخلق وأسماء الله، راح الحافظ ابن منده (ت٣٩٥) يخصص الجزء الأخير من كتابه (التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته) في: (ذكر معرفة صفات الله التي وصف بها نفسه وأنزل بها كتابه وأخبر بها الرسول على سبيل الوصف لربه مبيناً ذلك لأمته)، معللاً ذلك بـ "أن الله امتدح نفسه بصفاته، وصدَّق به المصطفى وبين مراد الله فيما أظهره لعباده، وكان ذلك مفهوماً عند العرب غير محتاج إلى تأويلها".

ثم طفق يعدد الصفات الخبرية والفعلية ويذكر مع كل صفة منها الآيات المتلوة والأخبار المأثورة التي تدلل على كل صفة على حدة، وختم ذلك بقوله ص٣٠٩: "هذه الأخبار في الصفات: نرويها من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا قياس ولا تأويل، على ما نقلها السلف عن الصحابة عن المصطفى عليه السلام، ونجهِّل من تكلم فيها إلا ببيان عن الرسول أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان، ونتبرأ إلى الله مما يخالف القرآن وكلام الرسول" ا.هـ

وللإمام الشوكاني رسالة (التحف)، جعلها في الرد على مَن سأله عن (ما يقول فقهاء الدين في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب وأفصحت عنها السنة)، فكان مما أجاب به ص١٨، قوله: "إن المذهب الحق في الصفات، هو: إمرارها على ظاهرها من غير تأويل، وأن ذلك هو مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم".

وقوله قبلُ: "إن الحق: هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، يُمرُّون أدلة الصفات على ظاهرها لا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون، وهذا هو المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمُتقرَّر من مذاهبهم، لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل، وإن نزغ بينهم نازغ، أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في المجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته"، وهكذا ينبغي أن يكون عليه كل جادٍّ سالكِ طريق الحق والرشاد.

و(أبو يعلى) و(ابن قدامة) يؤلفان في إبطال التأويل وذمه، ويحرِّمان رد الأخبار والتشاغل عنها بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية:

وفي ص٢٦، ٤٢، ٤٣ من كتابه (إبطال التأويلات) وإبَّان سوقه لعبارات أئمة السنة في إثبات الصفات وحملها على ظاهرها، يقول القاضي أبو يعلى (ت٤٥٨)، وكما في العلو للذهبي ص١٨٣ ومختصره للألباني ٢٧٠ : "لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات لله تعالى لا تشبه صفات الموصوفين بها من الخلق، لكن ما رُوي عن أئمة أصحاب الحديث: أنهم حملوها على ظاهرها..

ويدل على إبطال تأويلها أن الصحابة ومن بعدهم حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صَرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا إليه أسبق لما فيه من إزالة التشبيه..

كما يدل على إبطاله: أن من حمل اللفظ على ظاهره حمله على حقيقته، ومن تأول عَدَل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفاته"، بزعم أن ظاهرها التشبيه، كذا فسره الذهبي الذي علق يقول: "المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولَّدة، ما علمتُ أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تُمَرُّ كما جاءت ولا تُؤوَّل، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرع من هذا أن الظاهر يُعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف: (الاستواء معلوم)، وكما قال سفيان وغيره: (قراءتها تفسيرها)، يعني أنها بينة واضحة في اللغة، لا يُبتغى لها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف، مع اتفاقهم على أنها لا تشبه صفات البشر بوجه.

الثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة، كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله وإن تعددت صفاته فإنها حق، ولكن ما لها مثْل ولا نظير"ا.هـ..

على أن كلام الذهبي الذي يمثل القول الفصل في قضية الصفات، حجة على الأشاعرة، ذلك أنهم وإن كانوا يعتقدون بأن ظاهرها لا يتشكل في الخيال، إلا أنهم حرَّفوها وابتغوا لها مضايق التأويل، وإنما أردنا بهذا: التنبيه على أنهم في ذلك على خلاف مع السلف.

وفي ص١١٣ بنفس المصدر، يقول صاحب (إبطال التأويلات): "ذكر البخاري ومسلم القَدم في الصحيحين جميعاً"، ثم قال: "اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به: (قَدمٌ) هو صفة لله، وكذلك (الرِّجل)".. كما نقل أبو يعلى بعدها عن أحمد قوله: حديث "(يضع قدمه)، نؤمن به ولا نرده على رسول الله"، ثم علق يقول: "فقد نص أحمد على الأخذ بظاهر ذلك، لأنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا لا نثبت قدماً جارحة ولا أبعاضاً، بل نثبت صفة كما أثبتنا يدين ووجهاً وسمعاً وذاتاً، وجميع ذلك صفات، وكذلك (القَدم والرِّجل) لأننا لا نصفه بالانتقال والمماسة لجهنم ا هـ.

ثم صرّح أبو يعلى ص١٧٥، ١٧٨ بحمْل قوله تعالى: (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة.. الزمر/٦٧) "على ظاهره"، وبأن ذلك "غير ممتنع وراجع إلى ذاته".

ولابنه أبي الحسين محمد بن أبي يعلى صاحب (طبقات الحنابلة) قوله في كتاب (الاعتقاد): "أول ما نبدأ بذكره.. الإيمان بالله، ثم الإيمان بأن الله واحد لا يشبهه شيء وأن ما وقع في الوهم فالله وراء ذلك"، إلى أن قال ص٤١ وبعد ذكر جملة من الصفات وأمور الاعتقاد: "ويجب هجران أهل البدع والضلال كالمشبهة والمجسمة والأشعرية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والجهمية والخوارج.. وبقية الفرق المذمومة".

ولابن قدامة المقدسي صاحب المغني، قوله في (ذم التأويل) ص١١: "ومذهب السلف: الإيمان بصفات الله التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها"، ثم ذكر عبارات أئمة السنة، وبوَّب لـ (وجوب اتباعهم والحث على لزوم مذهبهم وسلوك سبيلهم بموجب الكتاب والسنة).

إلى أن قال ص٥٠: "إن الصحابة أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم يُنقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة، والإجماع حجة قاطعة، فإن الله لا يَجمع أمة محمد على ضلالة.. ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو إما أن يكون علمه النبي وخلفاؤه الراشدون وعلماءُ الصحابة أو لم يعلموه، فإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم؟، وهل يجوز أن يكون قد خبَّأ عنهم علماً وخبَّأ للمتكلمين لفضل عندهم؟!، وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه فإنه يسعنا ما وسعهم، ولا وسّع الله على من لا يسعه ما وسعهم"..

ولابن قدامةٍ في كتابه (لمعة الاعتقاد) ص١٥ قوله: "كلُّ ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل"، وقوله ص٣٢ بعد أن ذكر جملة من صفات الفعل والخبر: "فهذا وما أشبهه: نؤمن به ولا نردُّه ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره"، والحق أن الكتابين - على صغرهما - تأصيل في الحض على التمسك بظواهر النصوص وبما كان عليه السلف ورد ما سواهما، وهما عمدة في الاحتجاج على من ابتلينا بهم من أشاعرة الزمان.. وله كتاب ثالث في (صفة العلو) خصه لذكر النصوص والآثار في إثبات الصفات.

ومن نقل عنهم الذهبي في العلو ص١٧٣ مقولتهم في الأخذ بالظواهر: أبو سليمان الخطابي، حيث قال في كتابه (الغنية):

"فأما الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنن الصحيحة، فإن مذهب السلف: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد: في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين"..

ومنهم الإمام ابن عبد البر، حيث ذكر الذهبي في العلو ص١٨١ قوله وهو بالمختصر ص٢٦٨ وبالفتح١٣/٣٤٦: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يَحملُ منها شيئاً على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه، والحق فيما قاله القائلون بما ينطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة".

وكان ابن عبد البر قد ذكر في التمهيد٧/١٣١: أن "من حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عن أن يخَاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين"..

ومنهم الخطيب البغدادي، فقد نقل عنه الذهبي ص١٨٥ وكذا ابن قدامة في (ذم التأويل) ص١٧ قوله: "أما الكلام في الصفات، فأما ما روي منها في السنن الصحاح فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها"، وعليه علق الذهبي بقوله: "والمراد بظاهرها: أي: لا باطن لألفاظ الكتاب والسنة غير ما وضعت له، كما قال مالك وغيره: (الاستواء معلوم)، وكذلك القول في السمع والكلام والوجه ونحو ذلك".. ومنهم الإمام البغوي حيث نقل عنه الذهبي في العلو ص١٩١ قوله بعد ذكره آية: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ)البقرة/٢١٠): "الأولى في هذه الآية وما شاكلها، أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة".

ومنهم الحافظ أبو القاسم التيمي، فقد ذكر له الذهبي في العلو ص١٩٢ قوله: "مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد وابن مهدي وابن راهويه، أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يُتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل.

قال ابن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، أي هو على ظاهره لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل".

وكان مما نقله صاحب (الحجة في بيان المحجة) ١/١٨٨، ٣١٢ عن التيمي قوله: "الكلام في صفات الله: ما جاء منها في كتاب الله أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله، فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها".

وقوله بعد ذكر الاستواء واليد والعين والرضا والغضب والنزول: "فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفي الكيفية والتشبيه عنه"..

وفي خطوة لحسم الأمر كعادته، يذكر الذهبي في السِّير١٩/٤٤٨، أن "قد صار الظاهر اليوم ظاهرَيْن: أحدهما حق، والثاني باطل. فالحق: أن يقول إنه سميع بصير مريد متكلم حي، (خلق آدم بيده) وأمثال ذلك، فنُمِرُّه على ما جاء، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى، ولا نقول له تأويل يخالف ذلك.. والظاهر الآخر وهو الباطل والضلال: أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد، وتمثل الباري بخلقه، بل صفاته كذاته، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وهذا أمر يستوي فيه الفقيه والعامي"..على أن هؤلاء الذين ذكرنا، هم من جاء التصريح في عبارتهم بـ (إجراء الصفات على ظاهرها)، وإلا فقرابة المائة والسبعين الذين نقل عنهم الذهبي وحده، جميعهم على التمسك بما جاءت به النصوص..

وإلى لقاء آخر..

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

العقيقة.. آداب وأحكام

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تناولنا في المقالين السابقين خمسًا من المسائل المتعلقة بأحكام وآداب العقيقة.

وفي هذا المقال نتناول أربعًا من المسائل المهمة لتكتمل مسائل هذا البحث تسعًا، نكتفي بها في هذا الموضوع المهم، ونتوقف عندها، فما لا يُدرك كله، لا يُترك جلُّه، وهي:

إعداد/ **محمد عبد العزيز**

١ـ حكم التشريك في العقيقة.
٢ـ وقت ذبح العقيقة.
٣ـ هل تجوز العقيقة عن الكبير البالغ؟
٤ـ هل تحصل الأضحية والعقيقة بذبح شاة واحدة عنهما إن اجتمعتا في أيام الأضحى؟

فأقول وبالله التوفيق والسداد.

المسألة السادسة:

حكم التشريك في العقيقة

وصورة المسألة أن جمهور أهل العلم جوَّزوا ذبح الإبل، والبقر في العقيقة كما سبق قياسًا على الهدي والأضحية.

والإبل والبقر يجوز فيهما التشريك، فتجزئ عن سبعة في مشهور مذهب أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أن البدنة من الإبل تجزئ عن عشرة، فهل يَطَّرِدُ هذا القياس هنا فيقال بجواز التشريك في العقيقة؟

مذهبان لأهل العلم:

الأول: للجمهور وهو أن القياس في هذا الباب لا يَطَّرِدُ، وأن البدن والبقر لا يجوز فيها التشريكَ.

قال ابن مفلح في الفروع (١١٢/٦): «وفي المستوعب والرعاية والروضة: يعق عن نفسه، ولا يجزئ إلا بدنة أو بقرة كاملة. نص عليه».

وقال المرداوي في الإنصاف (١١١/٤): «لو عق ببدنة، أو بقرة: لم يجزه إلا كاملة. نص عليه».

وقد استدلوا على مذهبهم بأمرين:

الأول: أن العبادات توقيفية، ولم يرد إجزاء التشريك في هذا الباب.

الأخر: أن العقيقة فداء نفس بنفس، فلا يجوز فيها التشريك. وانظر: تحفة المودود لابن القيم (ص ٦٤).

المذهب الثاني: جواز التشريك في العقيقة؛ قياسًا على الأضحية، وهو مذهب الشافعية.

قال النووي في المجموع (٤٢٩/٨): «ولو ذبح بقرة أو بدنة عن سبعة أولاد، أو اشترك فيها جماعة جاز، سواء أرادوا كلهم العقيقة، أو أراد بعضهم العقيقة وبعضهم اللحم، كما سبق في الأضحية». وانظر: تحفة المحتاج (٣٧١/٩)، ونهاية المحتاج (١٤٦/٨).

وقال الحافظ في الفتح (١٠/١٢): «وذكر الرافعي بحثاً أنها تتأدى بالسُبُع كما في الأضحية».

ولا يخفى أنَّ مبنى قول من جوَّز ذبح البدن، والبقر- وهم الجمهور- إنما هو القياس على الهدي، والأضحية؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن نشترك في الإبل والبقر، كل سبعة منا في بدنة» رواه مسلم (٣٢٥٢)، وأبو داود (٢٨٠٧)، والنسائي (٤٣٩٣).

فالهدي يجوز فيه التشريك نصًا، والأضحية قياسًا، فقياس العقيقة على الهدي في التشريك قوي على أصولهم، غير أنه لم يعرف عن السلف، والله أعلم.

المسألة السابعة:

متى تذبح العقيقة؟

تُذبح العقيقة عن المولود يوم سابعه عند جمهور أهل العلم لأحاديث منها: حديث سمرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «كل غلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويُحلَق، ويُسمَّى». رواه أبو داود (٢٨٣٨)، والنسائي (١٦٦/٧)، والترمذي (١٥٢٢)، وابن ماجه (٣١٦٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال ابن رشد في بداية المجتهد (٦٤٩/١): «وأما وقت هذا النسك فإن جمهور العلماء على أنه يوم سابع المولود».

لكن إن ذبحها قبل السابع، أو بعده فهل تجزئ عنه؟

قولان لأهل العلم:

الأول: للمالكية، فعندهم لا يعق عنه قبل السابع، فإن ذبحها قبل فجر السابع فلا تجزئ، وإن ذبحها بعد الفجر وقبل الشروق فالأظهر إجزاؤها، وإن مات الغلام قبل السابع، أو كان سقطًا فلا يعق عنه.

وحجتهم قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: «تذبح عنه يوم سابعه».

والى عدم إجزائها قبل السابع ذهب ابن حزم حيث قال: «يذبح كل ذلك في اليوم السابع من الولادة ولا تجزئ قبل اليوم السابع أصلاً»، لكن إن مات قبل السابع فإنه يعق عنه عنده. (انظر المحلى (٢٣٥/٦)).

فإن فات السابع فمشهور مذهب المالكية، أنها تسقط، وقول أنه تذبح في السابع الثاني، وقول في السابع الثالث، فلا تجزئ بعدها. (انظر: الكافي (٤٢٥/١، ٤٢٦)، والتاج والإكليل (٣٩٠/٤)).

وهذا القول مروي عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فعن أم كرز وأبي كرز قالا: (نذرت امرأة من آل عبد الرحمن بن أبي بكر إن ولدت امرأة عبد الرحمن نحرت جزوراً. فقالت عائشة رضي الله عنها: لا بل السنة أفضل عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة تقطع جُدولاً ولا يكسر لها عظم فيأكل ويطعم ويتصدق وليكن ذلك يوم السابع، فإن لم يكن ففي أربعة عشر فإن لم يكن ففي إحدى وعشرين) رواه الحاكم في المستدرك (٢٣٨/٥)، وقال: صحيح الإسناد، وقد ذكر له الشيخ الألباني في الإرواء (٣٩٥/٤ - ٣٩٦) علتين.

الثاني: أنها تجزئ قبل السابع وبعده، وإليه ذهب جمهور أهل العلم.

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة في الشرح الكبير (٥٨٨/٣): «فإن فات الذبح في السابع ففي أربع عشرة، فإن فات ففي إحدى وعشرين، وهذا قول إسحاق لأنه روي عن عائشة رضي الله عنها، والظاهر أنها لا تقوله إلا توقيفًا فإن ذبح قبل ذلك أو بعده أجزأ لحصول المقصود بذلك فإن تجاوز إحدى وعشرين احتمل أن يستحب في كل سابع فيجعله في ثمان وعشرين، فإن لم يكن ففي خمس وثلاثين، وعلى هذا قياسًا على ما قبله، واحتمل أن يجوز في كل وقت؛ لأن هذا قضاء فائت فلم يتوقف كقضاء الأضحية وغيرها».

وقال ابن حزم (٦/٢٣٤): «فإن لم تذبح في اليوم السابع ذبح بعد ذلك متى أمكن فرضًا».

وعلل ذلك ابن حزم في المحلى (٦/٢٣٩) قال: «فإن قيل: فمن أين أجزتم الذبح بعد السابع؟ قلنا: لأنه قد وجب الذبح يوم السابع ولزم إخراج تلك الصفة من المال فلا يحل إبقاؤها فيه فهو دَيْن واجب إخراجه- وبالله تعالى التوفيق».

وفي هذا خروج عن مذهبه من الجمود على الظاهر، ونفي التعليل، وإن لم يشعر به. وهو الراجح إن شاء الله- تعالى-.

المسألة الثامنة:

هل تجوز العقيقة عن الكبير؟

وصورة المسألة: إن بلغ الغلام أو الجارية، واكتسبا ولم يعق عنهما فهل يعقان عن نفسيهما؟

قلت: قد سبق مذهب مالك، وأنه لا يعق عنهما، وهو ظاهر مذهب أحمد، قال أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة في الشرح الكبير (٣/٥٨٨): «فإن لم يعق أصلاً فبلغ الغلام وكسب، فقد سئل أحمد عن هذه المسألة، فقال: ذلك على الوالد يعني لا يعق عن نفسه؛ لأن السنة في حق غيره.

وقال عطاء والحسن يعق عن نفسه؛ لأنها مشروعة عنه، ولأنه مرتهن بها، فينبغي أن يشرع له فكاك نفسه، ولنا أنها مشروعة في حق الوالد فلا يفعلها غيره كالأجنبي، وكصدقة الفطر».

وحجتهم واضحة، وهي:

- أن العقيقة إنما شرعت سنة في حق الولي، لا في حق الولد، فالولي هو المخاطب بهذا التكليف، حتى إنها لا تفعل من مال اليتيم، إن لم يتبرع بها كافله.
- وأنها شرعت في حق الغلام لقوله- صلى الله عليه وسلم-: «كل غلام مرتهن بعقيقته». لا في حق الكبير البالغ، وهو لا يصح عليه إطلاق لقب الغلام، إلا باعتبار ما كان، وهو مجاز، والأصل الحقيقة.

المذهب الثاني: أنه يعق عن نفسه، وهو مذهب عطاء، والحسن (كما سبق)، ومحمد بن سيرين، ومذهب الشافعي أنها تسقط عن غير المولود إذا بلغ، وأما المولود إذا بلغ فهو مخير بين فعلها وتركها في حق نفسه، وحجتهم النص، والمعقول، فأما المعقول فأمران:

١- أنها مشروعة في حقه في الجملة.

٢- أنه مرتهن بها، فينبغي عليه أن يسعى في فكاك نفسه.

وأما النص فلحديث أنس- رضي الله عنه -: «أن النبي- صلى الله عليه وسلم -: عق عن نفسه بعد النبوة». رواه عبد الرزاق في المصنف (٤/٣٢٩/٧٩٦٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٧٥٠)، والبزار في مسنده " كشف الأستار " (٢/٧٤/١٢٣٧).

قال البيهقي بعد رواية الحديث: قال عبد الرزاق: إنما تركوا عبد الله بن محرر لحال هذا الحديث.

وقال البيهقي- رحمه الله -: وقد روي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء.

وقد ضعف الحديث جمع من أهل العلم منهم: ابن عبد البر في الاستذكار (١٥/٣٧٦)، والنووي في المجموع (٨/٤٣١)، والذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة: عبد الله بن المحرر، وقال: إنه من بلاياه (٢/٥٠٠)، والحافظ في التلخيص الحبير (٤/١٤٧)، واختلف قوله فيه في الفتح.

وقد صححه عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الكبرى، وللشيخ الألباني فيه بحث جيد في السلسلة الصحيحة (٦/٢٢٥/٢٧٢٦) ذهب فيه إلى تصحيح الحديث.

قال النووي في المجموع (٨/٤٣١): «قال الرافعي فإن أخر حتى بلغ سقط حكمها في حق غير المولود وهو مخير في العقيقة عن نفسه. قال واستحسن القفال، والشاشي

أن يفعلها للحديث المروي أن النبي صلى الله عليه وسلم (عق عن نفسه بعد النبوة).

ونقلوا عن نصه في البويطي أنه لا يفعله واستغربوه. هذا كلام الرافعي.

وقد رأيت أنا نصه في البويطي قال: (ولا يعق عن كبير)، هذا لفظه بحروفه نقله من نسخة معتمدة عن البويطي. وليس هذا مخالفًا لما سبق لأن معناه (لا يعق عن البالغ غيره). وليس فيه نفي عقه عن نفسه.

وأما الحديث الذي ذكره في عق النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه فرواه البيهقي بإسناده عن عبد الله بن محرر- بالحاء المهملة والراء المكررة- عن قتادة عن أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم (عق عن نفسه بعد النبوة)، وهذا حديث باطل، قال البيهقي: هو حديث منكر».

وهذا المذهب أرجح لو صح هذا الحديث إن شاء الله- تعالى..

المسألة التاسعة:

هل تحصل الأضحية والعقيقة بذبح شاة واحدة عنهما إن اجتمعتا في أيام الأضحى؟

الأضحية، والعقيقة نسكان يتأكد استحبابهما على الصحيح من قول أهل العلم، وإلا فمنهم من ذهب إلى وجوبهما.

وقد اختلفوا في أيهما أشد استحبابًا من الآخر، وفائدة هذا الخلاف تتضح عند التزاحم بحيث لا يستطيع المكلف الجمع بينهما إذا اجتمعا، فمن رأى العقيقة أشد استحبابًا قدمها، والعكس بالعكس.

وقد اختلفت أنظار أهل العلم أيضًا في حصول إحداهما عند فعل الأخرى إذا اجتمعتا في أيام الأضحى على مذهبين:

الأول: الإجزاء. وهو أظهر القولين في مذهب أحمد وهو مذهب الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وقتادة، وحجتهم أنه نسك شكر اجتمع، ومقصوده إراقة دم، وقد أريق بذبح إحداهما، فيجزئ عنه دم واحد كدم التمتع أو القران والأضحية في حق الحاج، وركعتا الطواف والمكتوبة إذا اجتمعتا في حق الطائف، واجتماع العيد والجمعة في يوم، وتحية المسجد والسنة الراتبة للمكتوبة، وغسل الجمعة وغسل العيد، ونحوها....

قال المرداوي في الإنصاف (٤/١١١): «لو اجتمع عقيقة وأضحية فهل يجزئ عن العقيقة إن لم يعق؟ فيه روايتان منصوصتان. وأطلقهما في الفروع، وتجريد العناية، والقواعد الفقهية.

وظاهر ما قدمه في المستوعب: الإجزاء. قال في رواية حنبل: أرجو أن تجزئ الأضحية عن العقيقة. قال في القواعد: وفي معناه لو اجتمع هدي وأضحية».

الآخر: عدم الإجزاء، لأنهما دمان شُرعَا لسببين مختلفين، فلا يجزئ أحدهما عن الآخر، ومقصود أحدهما ليس مقصود الآخر، وهو مذهب المالكية، والشافعية.

قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الكبرى- وقد سئل عن ذبح شاة في الأضحى عن العقيقة والأضحية، فهل يحصلان معًا- (٤/٢٥٦): «الذي دل عليه كلام الأصحاب، وجرينا عليه منذ سنين أنه لا تداخل في ذلك:

- لأن كلاً من الأضحية والعقيقة، سنةٌ مقصودةٌ لذاتها.
- ولها سبب يخالف سبب الأخرى.
- والمقصود منها غير المقصود من الأخرى، إذ الأضحيةُ فداءٌ عن النفس، والعقيقةُ فداءٌ عن الولد، إذ بها نُموُّهُ وصلاحُهُ، ورجاءُ برِّهِ وشفاعته.
- وبالقول بالتداخل يبطل المقصود من كلٍ منهما، فلم يمكن القول به». وهذا القول الثاني هو الذي أراه راجحًا- إن شاء الله تعالى ..

هذا ما يسره الله في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن تكن الأخرى فأسأل الله أن يغفر لي زللي وخطئي، وأستغفر الله منه.

الصلاةُ على النبي صلى اللّه عليه وسلم في الصلاة (٢)

(حكمها - ما يقال فيها)

رابعاً: حكم الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم في الصلاة

إعداد/ **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير، ونتحدث اليوم عن حكمها في التشهد الأول.

حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول:

قَال الشَّافعيَّةُ: الصَّلاَةُ عَلَيْه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشَهُّدِ الأَوَّل، في الصَّلاَة الرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّلاَثِيَّة، فَهِيَ سُنَّةٌ في الْقَوْل الْجَدِيد للشَّافعيِّ، وَهُوَ اخْتيَارُ ابْنِ هُبَيْرَة، وَالآجُرِّيِّ مِنَ الْحَنَابلَة، وَلاَ تَبْطل الصَّلاَةُ بتَرْكه وَلَوْ عَمْدًا، وَيُجْبَرُ بسُجُودِ السَّهْو إنْ تَرَكَ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/ ٢٣٧).

وقَال الْحَنَفيَّةُ، وَالْمَالكيَّةُ: الصَّلاَةُ عَلَيْه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في التَّشَهُّد الأَوَّل لَيْسَ بمَشْرُوع عنْدَهُمْ، وَبه قَال الْحَنَابلَةُ؛ فَإنْ أَتَى بالصَّلاَة عَلَى النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَامدًا في التَّشَهُّد الأَوَّل كُرهَ- أي: كراهة تحريم-، وَتَجبُ عَلَيْه الإعَادَةُ. أَوْ سَاهيًا وَجَبَتْ عَلَيْه سَجْدَتَا السَّهْو عنْدَ الْحَنَفيَّة. وَتَفْسُدُ صَلاَتُهُ عنْدَ الْمَالكيَّة إنْ تَعَمَّدَ بإتْيَانهَا (الموسوعة الفقهية الكويتية٢٧/ ٢٣٧).

قلت: بعد عرض آراء الفقهاء نرى أنهم قد اختلفوا في مشروعية الصَّلاَة عَلَى النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فيه، وسنعرض لأدلة كل فريق ومناقشتها، وبيان الراجح منها.

١- أدلة الجمهور ومناقشتها:

قالوا: وَكَانَ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يُخَفِّفُ هَذَا التَّشَهّدَ جدًّا حَتَّى كَأَنَّهُ عَلَى الرَّضْفِ- وَهيَ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ- واحتج الجمهور بحديث أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان في الركعتين الأوليين كأنه على الرضف، قالوا حتى يقوم» رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: هو حديث حسن. قال الإمام النووي: وليس كما قال لأن أبا عبيدة لم يسمع أباه ولم يدركه باتفاقهم، وهو حديث منقطع. (المجموع شرح المهذب ٣/ ٤٦١).

قال العلامة ابن عثيمين: وهذا الحديث وإن كان في سنده نظر، لكن هو ظاهر السُّنَّة. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/ ١٦٢).

قال العلامة الشنقيطي: وهذا إشارة إلى أنه كان يستعجل، ولم يكن يطيل جلوسه للتشهد الأول. ولذلك قالوا: السنة أنه لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أمْرُه عليه الصلاة والسلام بالصلاة عليه في هذا الموضع. (شرح زاد المستقنع ٢/ ٣٧).

وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم في حَديث قَطّ أَنَّهُ صَلَّى على نفسه وَعَلَى آله في هَذَا التَّشَهّد، وَمَنْ اسْتَحَبّ ذَلكَ فَإنَّمَا فَهمَهُ منْ عُمُومَات وَإطْلاَقَات قَدْ صَحّ تَبْيينُ مَوْضعهَا وَتَقْييدُهَا بالتَّشَهّد الأَخير. (زاد المعاد ١/ ٢٣٢).

والسبب في ذلك أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دعاء، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء إنما يكون في التشهد الثاني لا في التشهد الأول، وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رَضيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ) بَيْنَهَا بِقَوْلِه: «يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ؛ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». رواه مُسلم.

واحتج الجمهور بما ورد في «صحيح ابن خزيمة» عن عبد الله بن مسعود: «أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان في وَسَطِ الصَّلاة نَهَضَ حين يفرُغ من تشهُّده، وإنْ كان في آخرها دعا بعد تشهُّده بما شاء الله أن يدعوَ، ثم يُسلِّم». قال شعيب الأرناءوط: صحيح، وهذا إسناد حسن.

واحتج الجمهور بما ورد عن تميم بن سلمة قال: كان أبو بكر إذا جلس في الركعتين كأنه على الرضف، يعني حتى يقوم. (مصنف ابن أبي شيبة).

وأجيب عن ذلك بأنه ليس فيه إلا مشروعية التخفيف وهو يحصل بجعله أخف من مقابله (أعني التشهد الأخير)، وأما أنه يستلزم ترك ما دل الدليل على مشروعيته فيه فلا، ولا شك أن المصلي إذا اقتصر على أحد التشهدات، وعلى أخصر ألفاظ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كان مسارعًا غاية المسارعة باعتبار ما يقع من تطويل الأخير بالتعوذ من الأربع والأدعية المأمور بمطلقها ومقيدها فيه. (نيل الأوطار، للشوكاني ٢/٣٢٠).

واحتج لقول الشافعي- وهو استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول- بما رواه الدارقطني من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله يعلمنا التشهد: التحيات الطيبات الزاكيات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى الدارقطني أيضًا من حديث عمرو بن شمر عن جابر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله يا بريدة إذا جلست في صلاتك فلا تتركن الصلاة عليَّ؛ فإنها زكاة الصلاة. قالوا: وهذا يعم الجلوس الأول والآخر. (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١/٣٥٨).

وأجيب بأن الحديث الأول إسناده ضعيف جدًّا بموسى بن عبيدة، والحديث الثاني ضعيف بعمرو بن شمر وجابر الجعفي. واحتج له أيضًا بأن الله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسوله، فدَّل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه لقَوْله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: إذَا تَشَهَّدْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ قال العلامة الماوردي: وَلأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ كَانَ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجِبًا كَانَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ كَانَ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْنُونًا كَانَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْنُونًا. (الحاوي الكبير ٢/٣٠٨).

ولهذا سأله الصحابة عن كيفية الصلاة عليه، وقالوا: قد علمنا كيف نسلم عليك؛ فكيف نصلي عليك؟ فدَّل على أن الصلاة عليه مقرونة بالسلام عليه، ومعلوم أن المصلي يسلم على النبي، فيشرع له أن يصلي عليه (جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية).

وأجيب بأنه لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يفعل ذلك فيه ولا علَّمه للأمة، ولا يُعرف أن أحد الصحابة استحبه، ولأن مشروعية ذلك لو كانت كما ذكرتم من الأمر لكانت واجبة في هذا المحل، كما في الأخير، لتناول الأمر لهما، ولأنها لو شرعت في هذه المواضع لشرع فيها الدعاء بعدها، لحديث فضالة ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير. (جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية ١/٣٥٨).

وبعد عرض آراء الفريقين نرى أن رأي الجمهور هو الأرجح لقوة أدلتهم.

قال العلامة ابن عثيمين: ومع ذلك لو أن أحداً من النَّاس صَلَّى على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الموضع ما أنكرنا عليه، لكن لو سألنا أيُّهما أحسن؟ لقلنا: الاقتصار على التشهُّد فقط، ولو صَلَّى لم يُنْهَ عن هذا الشيء؛ لأنه زيادة خير، وفيه احتمال، لكن اتباع ظاهر السُّنَّة أولى. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/١٦٢).

والحمد لله رب العالمين.

العقيدة أولا

مقدمة لما كتبه فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن ندا بعنوان مفاهيم الأسماء والصفات. والشيخ رحمه الله تعالى وافته المنية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٤٣٧ من الهجرة النبوية، وأنصار السنة المحمدية بمصر تحتسب شيخها عند ربه عالمًا ربانيًا، كما نحسبه والله حسيبه قام على ثغر الدعوة إلى توحيد الله عز وجل فكان من الرعيل الأول لعلماء أنصار السنة المحمدية تتلمذ على يد علمائها الأوائل، وعلى رأسهم الشيخ المؤسس حامد الفقي رحمه الله، وكان من أقرانه الرئيس الأسبق للجماعة الشيخ محمد علي عبدالرحيم رحمه الله، ومن الأحياء الشيخ حسن بن عبدالوهاب البنا- حفظه الله- قضى حياته داعيًا إلى توحيد الله عز وجل، فعمل مراقبًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، والتي قامت على هذا الثغر، كما درس مادة العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وللشيخ العديد من المؤلفات من أهمها ما كتبه في التوحيد ومن ذلك : الإيمان في ظلال الأسماء والصفات وإصلاح العقيدة.

إعداد/ فضيلة الشيخ / سعد بن عبدالرحمن ندا

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
رحمه الله تعالى

يقول الشيخ رحمه الله:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

أسلفت القول في أنني أهتم أعظم الاهتمام بقضايا العقيدة الإسلامية. وهكذا ينبغي أن يكون شأن كل مسلم- ذلك بأن العقيدة هي الركيزة التي يقوم عليها ديننا الإسلام، فمن أفسدها، أو جحدها، أو كفر بها، بطل عمله مهما أكثر منه وحسبه صالحا، وحتى لو كان قد أقر قبل بالشهادتين، فإن إقراره يعتبر منقوضًا بما ارتكب مما ينافي مقتضاهما مثله كمثل المتوضئ الذي يحدث ثم يصلي، فإن صلاته تكون- لنقضه وضوءه- بلا ريب باطلة شاء أم أبى. فكذلك مفسد العقيدة، أو الجاحد لها، أو الكافر بها- بمسلكه الشركي أو الكفري- أعماله باطلة شاء أم أبى «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام آية ٨٨)، «وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (المائدة: آية ٥)

إن العقيدة بمثابة الروح للبدن، وهل تجد نبضة من حياة في بدن فاضت منه روحه؟.

إننا إذا جلنا جولات خاطفة متبصرة في المجتمعات الإسلامية، لألفيناها- إلا من رحم الله وحمى منها- أبدانًا وهياكل لا روح فيها، لا تقيم للعقيدة الصحيحة وزنا، ولا تتبين معاني التوحيد والشرك، والسنة والبدعة، والحق والباطل، إذ اضطربت في أذهان أفرادها معالم الشريعة، ففقدوا بذلك الفرقان الذي يميز الخبيث من الطيب، ومن ثم لم يعنوا بالتعرف على الله، والتجرد له، واستهانوا بمراقبته وتقواه، وهل يوجد الفرقان في قلب المؤمن إلا بتقوى الله؟ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا» (الأنفال آية ٢٩). وبهذا اختلت الموازين لدى من ينتسبون إلى الإسلام، فلم يميزوا بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، ولا بين عدوهم وبين حبيبهم، ولا بين من يقدم لهم طعاماً وبين من يجعلهم له طعاماً، وبين من يمد إليهم يده مصافحا، وبين من يمدها إليهم طاعناً، وأخذوا يسمعون لكل ناعق،.. ويجرون وراء كل داع، فعميت عليهم الأنباء، وأصبحوا في أمر مريج،.. وانتهى مطافهم إلى أن دب الخلاف فيما بينهم، وانكبوا على الدنيا وشهواتها يتنافسون..، فهزلت شخصياتهم..، وبهتت ألوانهم، وخفتت أصوات الحق فيهم- إلا من رحم الله ووفق-، ونظر إليهم أعداؤهم- أعداء

الله- فوجدوهم هكذا غثاء كغثاء السيل، رغم بلوغ عددهم ما يقارب ألفا من الملايين، فما خشوا بأسهم واستهانوا بهم، وأخذوا يخططون لضرب وحدتهم أولا، فلما فرقوهم سهل عليهم التهامهم أمة تلو أمة ثانيا، ثم أخذ أعداء الله الدنيا بقوة، وأصلحوا فيها أمرهم، فبلغوا من التقدم ما حطوا به على سطح القمر وغيره من الكواكب- وصار ميزان العالم كفتين: كفة يشغلها ملاحدة شيوعيون، تقابلها كفة أخرى يشغلها صهاينة جشعون، يعاونهم صليبيون حاقدون. وكل من القوتين الباغيتين لا تحب الإسلام ولا ترضى عن المسلمين طالما أنهم مسلمون، وقد قرر الله تعالى هذه الحقيقة في قوله: « وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ » (البقرة آية ١٢٠)، ثم بين سبحانه طريق الحق وحذر من اتباع أهواء هؤلاء المتخبطين فقال: « وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ » (البقرة آية ١٢٠)- والملاحدة الشيوعيون أولى أن لا يرضوا عن المسلمين حتى ينسلخوا من دينهم ويتبعوا إلحادهم- ولا ينبغي أن نغمض أعيننا عن واقع المسلمين، ونهيم في ملذات الحياة الدنيا غافلين، إنما يجب علينا أن نرفع غشاوة أعيننا، ونشحذ آذاننا، ونفتح مغاليق قلوبنا، ثم نتدبر ونفكر كيف نسير لصد هذا الموج الإجرامي العنيف. لنلق نظرة على إخواننا المسلمين في الفلبين، وبورما، وتايلاند، وأفغانستان، وفلسطين المحتلة، واريتريا، والصومال- لنرى ما يمارسه العتاة المجرمون أعداء الله مع المسلمين في تلك الأمم من حرب الإبادة ابتغاء طمس معالم الإسلام فيها، ومحاولة تحويلها- لا قدر الله- إلى بلاد كفر وإلحاد.

أليس الله تعالى يقول؟ « قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ » (التوبة آية ٥١، ٥٢). فنتيجة الجهاد بالنفس: إما نصر يحمل الخير ويرفع كلمة الله، وإما استشهاد لا موت معه بل حياة به عند الله- وهل هذا التخاذل من الأكثرين عن الجهاد بالمال خشية نفاذه؟ أليس الله تعالى قد ضمن الرزق لكل من خلق. وأنت ممن خلق- فطمأنك وأكد لك وقال لك: « وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ » (الذاريات آية ٢٢، ٢٣)- ثم زاد اطمئنانك فبين أن ما لديه غير قابل للنفاد إطلاقا فقال سبحانه: « إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ »- (ص آية ٥٤).

أين عدة المسلمين الموحدة التي أمرهم الله تعالى بإعدادها لدحر أعداء الإسلام بأي اسم كانوا وعلى أي أرض وجدوا؟ أين تنفيذ أمره تعالى: « وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » (الأنفال آية ٦٠).

لم هذا التباطؤ والانكباب على هذه الحياة المترفة التي حولت أغلب لبنات الأمم الإسلامية- إلا من رحم الله- إلى لبنات هشة ناعمة لا تقوى على مجابهات أعداء الله وصد شراستهم في تحركات غادرة بغية محو كيان المجتمع الإسلامي من خارطة العالم؟! وإذا في مجتمعاتهم الصارخة بالإلحاد والكفر- إن كل مؤمن يملأ قلبه أمل عريض، وضراعة إلى الله صادقة، أن يجمع شتات الأمم الإسلامية ويوحد فرقتها، ويبدد الخلافات بينها، ويجعلها أمة واحدة، معبودها رب واحد، وقدوتها إمام واحد، ونهجها كتاب واحد، ووجهتها قبلة واحدة، وغايتها- بإعلاء كلمة الله- واحدة. إنه مما لا شك فيه أن اجتماع الأمم الإسلامية- وخاصة إذا دعمها الإيمان- يرهب أعداء الله، ويملأ قلوبهم رعبا وفزعا؛ ثم إن يد الله دائما على الجماعة المؤمنة، وهذا يستتبع نصره لها « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ » (غافر آية ٥١) لما ينصرف أكثر المسلمين عن هدى الله ويصبحون إمَعات؟ إن أحسن الناس أحسنوا تقليدا غير بصير على نهجهم؟ وان أساءوا أساءوا تقليدا غير بصير كذلك على دربهم؟

إنني أتصور أن الذي صرف أكثر هؤلاء المسلمين عن الله إنما هو جهلهم بالله، ومن جهل الله جهل ما قال، وكما يقال: «من جهل شيئا عاداه». ومن ثم لما جهلوا الله عادوه، ولجئوا إلى غيره فأشركوا فحبطت أعمالهم، ولما جهلوا قول الله تعالى عادوه كذلك، ولجئوا إلى قول غيره، فضلوا وتخبطوا، واستشرى فسادهم، وعم شقاؤهم. وصدق الله جل وعلا حين قال: « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا » (طه آية ١٢٤).

فلابد إذن للمسلم أن يتعرف على الله تعالى حتى يعبد إلها يعرفه، فتسلم له عباداته، رحم الله الشيخ رحمه واسعة وأسكنه فسيح جناته

والحمد لله رب العالمين

مسابقة

فضيلة الشيخ زكريا حسيني رحمه الله

في القرآن الكريم والقراءات

وذلك على النحو الآتي:

المستوى الأول: حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع.

المستوى الثاني: حفظ القرآن الكريم كاملاً ، مع بعض أبواب علوم القرآن.

المستوى الثالث : حفظ نصف القرآن (خمسة عشر جزءًا)،مع بعض أبواب علوم القرآن.

المستوى الرابع : حفظ خمسة أجزاء، مع حفظ معاني كلمات جزء عم.

ملحوظة:

- تجمع المواد النظرية في مذكرة.
- الاختبار في جميع المستويات و المواد سيكون شفهيًا.

شروط المسابقة:

١. الاختبار بأحكام التجويد شرط أساسي في جميع المستويات.

٢. الاختبار في المستوى الأول خاص بالرجال فقط.

٣. لا يزيد العمر في المستوى الثالث عن عشرين عامًا.

٤. لا يزيد العمر في المستوى الرابع عن خمسة عشر عامًا.

جوائز المسابقة : قيمة.

و الجائزة الأولى : في المستوى الأول : عمرة إلى بيت الله الحرام.

مواعيد المسابقة :

١. تبدأ تصفيات المسابقة يوم السبت ١١ شوال الموافق ١٦/ ٧/ ٢٠١٦م.
وتستمر لمدة ثلاثة أيام بإذن الله.

٢. يتم تصعيد المتسابقين و المنافسة بينهم بعد ذلك في موعد تحدده لجنة المسابقة.

٣. يتم تسجيل الأسماء و سحب الاستمارات بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية (الدور السابع) و بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس.

٤. آخر موعد لتسجيل الأسماء ١٦/٦/٢٠١٦ م

للاستفسار عن المسابقة الاتصال بـ(يحيى زكريا) رقم: ٠١٠٠٤٧٥٩١٠٨

أو الاتصال بمجمع التوحيد: ٠٥٥٢٨٤٧٩٩٠

إدارة المسابقة

من أصول أهل السنة

إعداد/ عماد الدين محمد حمودة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فهذه بعض الأصول التي بنى عليها أهل السنة اعتقادهم:

١- (لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه). متن الطحاوية.

ويعتقدون أن كل المسلم على المسلم حرام، فلا استحلال لدمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما" متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال: " يا أيها الناس أي يوم هذا؟ "، قالوا: يوم حرام، قال: " فأي بلد هذا؟ "، قالوا: بلد حرام، قال: " فأي شهر هذا؟ "، قالوا: شهر حرام "، قال: " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا "، فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه فقال: " اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت- قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض" رواه البخاري.

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من حمل علينا السلاح فليس منا " متفق عليه.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار" متفق عليه.

٢- لا يطلبون الإمارة، ناهيك عن التقاتل عليها والتهالك على أبوابها:

لأن في هذا الطلب ندباً للنفس للوقوف على شفير النار، وفيها التزكية للنفس، والله تعالى يقول: «فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ» (النجم: ٣٢) فيزعم طالب الإمارة أنه هو الذي يناسب الناس في هذا الوقت، في حين أن هذا كله في علم الله سبحانه، ولو علم الله منه أو من الرعية هذا الاستحقاق لهَّده له طلباً من الرعية أو انتداباً، ولهيأ له الرعية طاعةً وامتثالاً ومساندةً، وفى الأمرين (أي ندب النفس أو زعم المناسبة) ما فيهما من اغترار بالنفس.

عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلتَ إليها، وإن

أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْت عليها) متفق عليه.

- وعن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: " يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها" رواه مسلم.

٣- لا يتخذون بطانة من دونهم: قال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)(آل عمران: ١١٨).

٤- يحبون في الله لا غيرُ ويبغضون في الله لا غيرُ:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله " أخرجه أحمد في مسنده وحسنه الألباني.

٥- ينصحون لأئمة المسلمين وعامتهم بضوابط الرفق والستر وعدم الاجتراء: عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الدين النصيحة " قلنا: لمن؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" أخرجه مسلم.

قال جرير بن عبد الله: " بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم" متفق عليه.

٦- لا يزكون أنفسهم: بزعم الأفضلية والأسبقية و...:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا) (النساء: ٤٩- ٥٠).

وقال: (فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ) (النجم: ٣٢).

٧- لا يأخذون وازرة بوزر أخرى: قال تعالى (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)(النجم: ٣٨).

٨- لا يطيعون إلا في معروف:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الطاعة في المعروف) متفق عليه.

وليس غريبًا أن يكون هذا القول في سياق التعليق على رفض الصحابة لطاعة أحد أمراء الجيوش بإلقاء أنفسهم في النار (اختبارًا لطاعتهم)، فما أشبه الليلة بالبارحة!!

٩- لا يغالون في البشر:

عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا عبد الله ورسوله" أخرجه البخاري.

١٠- لا يقتلون أنفسهم ولو كان ذلك طلباً للشهادة (العمليات الانتحارية):

قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩).

وعن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، حدثه، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه "، أخرجه مسلم.

- وليست هذه دعوة للنكول عن القتال إذا تحتَّم - في ديار الإسلام المغزوَّة-، بل هي دعوة لفهم جوهر دعوة الإسلام وهو نشر النور والهداية، ونشداناً لتحرِّي القتال في صحيح مواضعه، حتى لا يشذَّ انحرافاً وضلالاً ووقوعاً في دماء المسلمين، والمؤمنين من غيرهم.

١١- يتحرَّوْن الحلَّ في الوسائل والغايات (ربانية الوسائل)، فالغاية عندهم لا تبرر الوسيلة، كما عند غيرهم من أهل الأهواء.

عن عروة بن الزبير، عن عائشة، زوج

النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرَّة الوبرة أدركه رجل قد كان يُذْكَر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك، وأصيب معك، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تؤمن بالله ورسوله؟ " قال: لا، قال: " فارجع، فلن أستعين بمشرك "، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة، قال: " فارجع، فلن أستعين بمشرك "، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: " تؤمن بالله ورسوله؟ " قال: نعم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فانطلق " رواه مسلم.

١٢- يُوسِّدون الأمر لأهله لا لغيره:
عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: " أين- أراه- السائل عن الساعة"؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: " فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة "، قال: كيف إضاعتها؟ قال: " إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" أخرجه البخاري.

١٣- يجتمعون على كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة: فلا تنصرف همَمهم إلى ضمَ الأتباع دون تجريد العقيدةَ لدنيا يصيبونها أو عرض زائل.

وبعدُ، فهذه بعض أصول أهل السنة والجماعة، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تهنئة واجبة

تستمر ينابيع الخير، وتتوالى الرسائل العلمية التي يحصل عليها أبناء الجماعة، وفي جامعة العلوم والمعرفة؛ جامعة الأزهر الشريف، وفي كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، حيث حصل الباحث عبد الرحمن زكريا حسيني، على درجة الماجستير في رسالة بعنوان: «الخلافات بين الفِرَق المسيحية في القرون الثلاثة الأولى، وأثرها على نصوص العهد الجديد».

وتكونت لجنة المناقشة من كل من:

أ. د. أحمد حسين محمد إبراهيم، مشرفًا.
أ. د. عبد الرحمن جبرة عبد الرحمن، مناقشًا.
أ.د. صابر أحمد طه، مناقشا.
د. إبراهيم شعيب زيدان، مشرفًا متابعًا.

وأعضاء مجلس إدارة المركز العام، وأسرة تحرير مجلة التوحيد واللجنة العلمية، التي كان يرأسها الوالد الشيخ زكريا حسيني رحمه الله، تتمنى للباحث مزيدًا من التوفيق والنجاح.

رئيس التحرير

مسابقة القرآن الكريم بالمركز العام

يسر إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام أن تعلن عن المسابقة السنوية في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره.

أولاً: مستويات المسابقة:

١- حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا مع تفسير سورة «النور».
٢- حفظ عشرين جزءًا مجودًا مع تفسير سورة «الحجرات».
٣- حفظ عشرة أجزاء مع التجويد.
٤- حفظ ثلاثة أجزاء مع التجويد.

ثانيًا: يجري كل فرع من فروع أنصار السنة المحمدية اختبارات لطلابه ليرشح من خلالها طالبين وطالبتين في كل مستوى من مستويات المسابقة، وإرسال أسماء المتسابقين بجواب من الفرع وختمه بخاتم الفرع، ولا يقبل من أي فرع أكثر من هذا العدد إلا بموافقة اللجنة المختصة.

ثالثًا: تجرى المسابقة حسب الجدول الآتي:

١- اختبارات المستوى الأول: يوم السبت ١٨ شوال ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٢٣م.
٢- اختبارات المستوى الثاني: يوم الأحد ١٩ شوال ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٢٤م.
٣- اختبارات المستوى الثالث: يوم الاثنين ٢٠ شوال ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٢٥م.
٤- اختبارات المستوى الرابع: يوم الثلاثاء ٢١ شوال ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٢٦م.

رابعًا: شروط المسابقة:

١- لا يزيد عمر المتسابقين في المستويين الأول والثاني عن ثلاثين عامًا، وفي الثالث عن خمسة وعشرين عامًا، وفي الرابع عن خمسة عشر عامًا.
٢- يرفق المتسابق صورة الهوية التي تحمل تاريخ ميلاده.
٣- آخر موعد لقبول كشوف الأسماء من الفروع يوم الأحد ١٤ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٦/١٩م.
٤- تقدم كشوف الأسماء بالمركز العام في الدور السادس (مكتب إدارة شئون القرآن)، وبالدور السابع بمجلة التوحيد للأستاذ جمال سعد.

جوائز المسابقة:

المستوى الأول: الفائز الأول: ٢٠٠٠ جنيه، والثاني ١٨٠٠ جنيه، الثالث: ١٧٠٠ جنيه، الرابع: ١٦٠٠ جنيه، الخامس: ١٥٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ١٠٠٠ جنيه لكل متسابق منهم.

المستوى الثاني: الفائز الأول: ١٥٠٠ جنيه، الفائز الثاني: ١٤٠٠ جنيه، الفائز الثالث: ١٣٠٠ جنيه، الرابع: ١٢٠٠ جنيه، الخامس: ١٠٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٧٠٠ جنيه لكل متسابق منهم.

المستوى الثالث: الفائز الأول: ١٠٠٠ جنيه، الثاني: ٩٠٠ جنيه، الثالث: ٨٠٠ جنيه، الرابع: ٧٠٠ جنيه، الخامس: ٦٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٥٠٠ جنيه لكل متسابق منهم.

المستوى الرابع: الفائز الأول: ٥٠٠ جنيه، الثاني: ٤٥٠ جنيه، الثالث: ٤٠٠ جنيه، الرابع: ٣٥٠ جنيه، الخامس: ٣٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٢٥٠ جنيه لكل متسابق منهم.

وهناك جوائز عينية لكل فائز، ونسأل الله تعالى القبول.

إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام
مصطفى البصراتي

إدارة التخطيط والمتابعة بالمركز العام
جمال عبدالرحمن

بشرى سارة

معرض مجلدات مجلة التوحيد

مفاجأة كبرى

موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٥٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)

مفاجأة:

- اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
- الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.

مفاجأة:

- يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
- ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٤ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات

٤٤ مجلداً

٤٤ عاماً

المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة

للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517

صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ